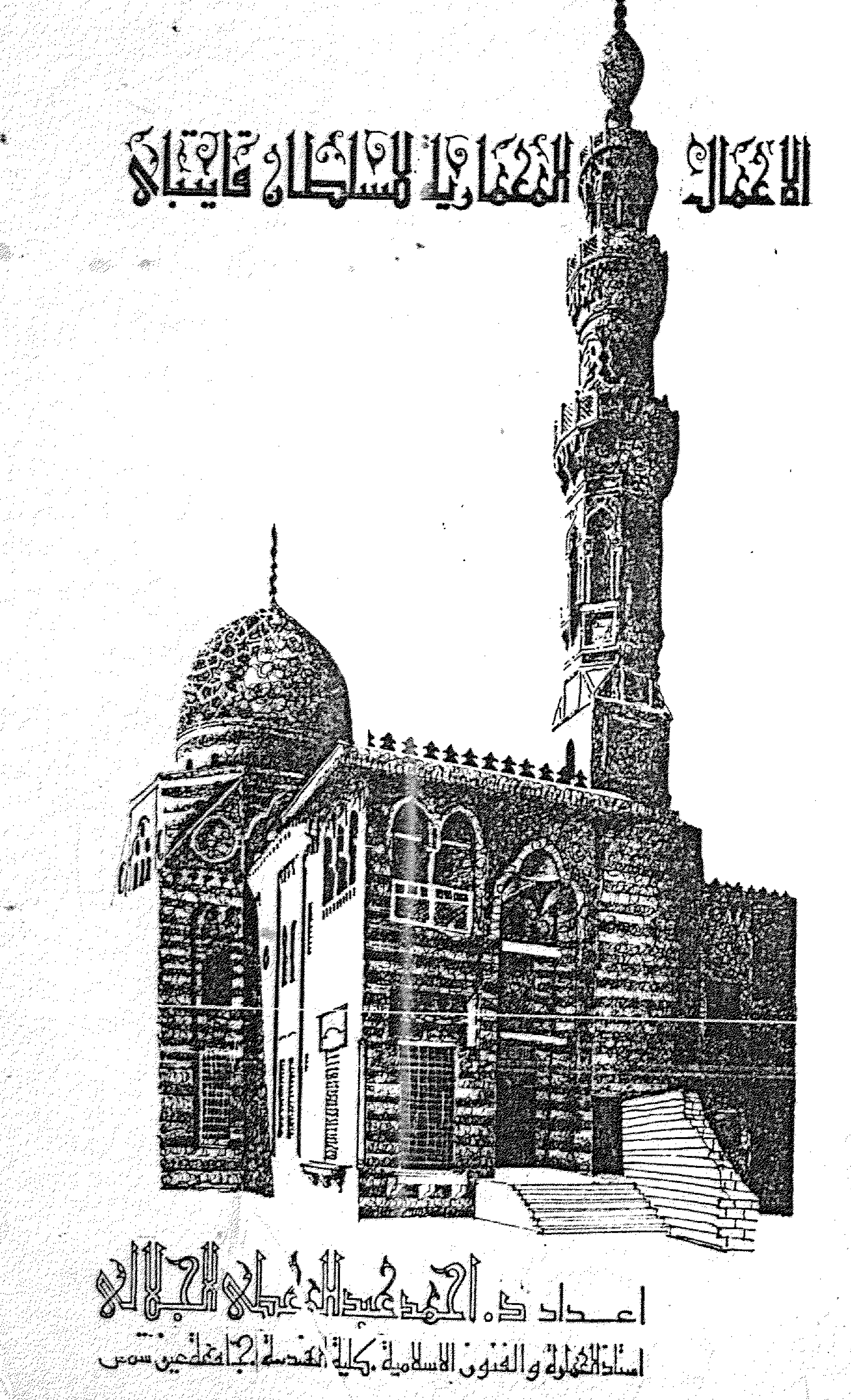
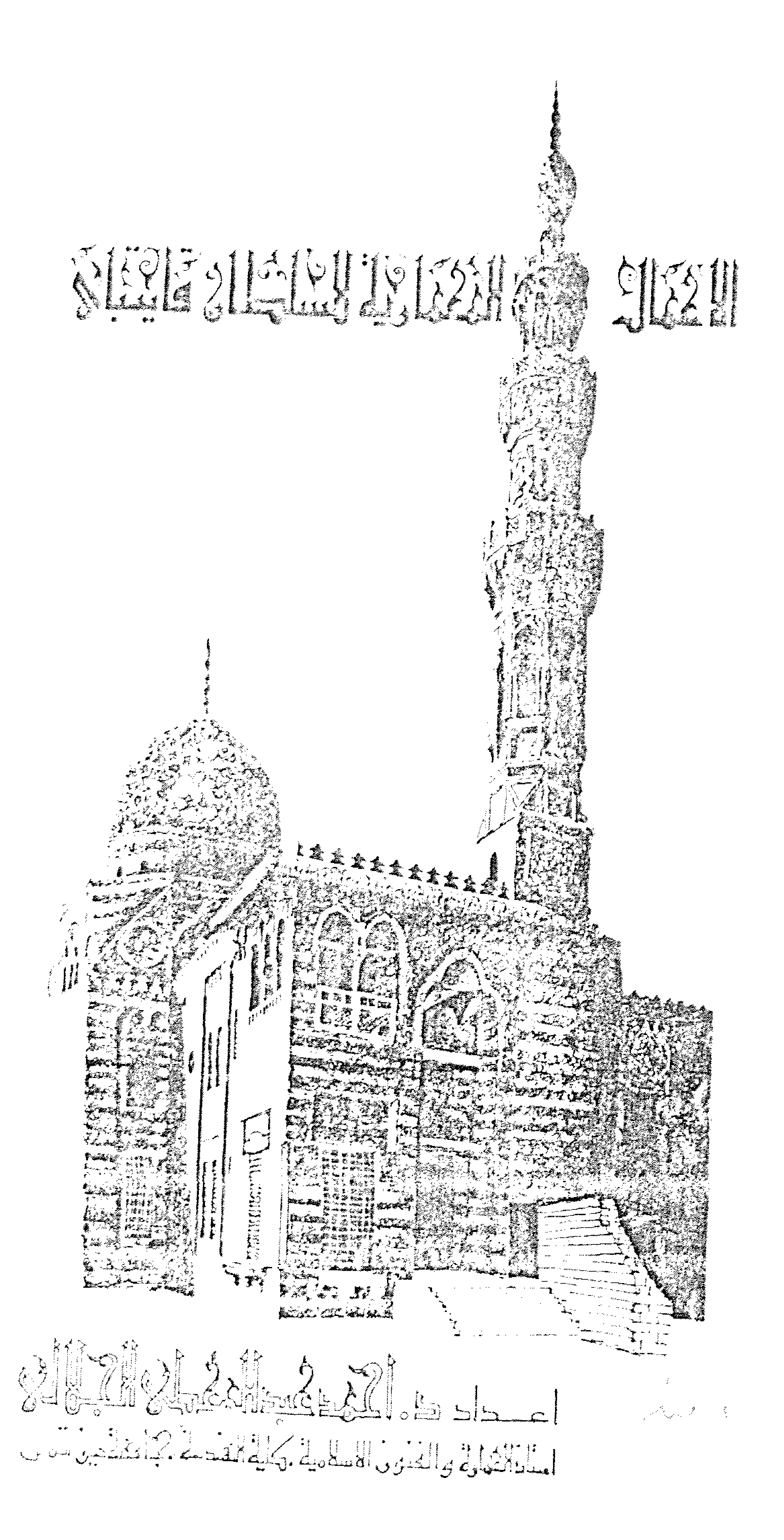
الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي



اعداد د. احمد عبد الله عطى الجبالى
استاذ العمارة والفنون الاسلامية . كلية الهندسة . جامعة عين شمس

الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي



إعداد د. أحمد عبد [illegible]
أستاذ العمارة والفنون الإسلامية . كلية الهندسة . جامعة عين شمس

الاعمال المعماريه للسلطان قايتباى

اعـــداد

دكتور / احمد عبدالمعطى الجلالـــــى
استاذ العمارة والفنون الاسلاميـــــة
كلية الهندسة / جامعة عين شمـــــس

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

يعتبر قايتباى (سلطان مصرفى عهد المماليك الجراكسة) من أكبـر المحبين للعمـارة والانشـاء فى جميع العصور الاسلامية بمصر . ومـن المؤسف ألا نجد باحثا يهتم بأعمال ذلك الرجل فيكشف النقاب عنهـا ، ويظهر فنونه وآثاره بصورة مرضية . لذلك رأيت أن أقدم دراسة عن أعماله فى هذا البحث الموجـز مكتفيا بسرد هذه الاثار والاعمال المعمارية بعـد جمعها من عدة مصادر مختلفة .

وتنحصر هذه الاعمال فى الاثار القائمة حتى الان ، وكذلك التـى اندثرت وحفظها التاريخ وفى أعمال التجديد والاصلاح سواء أكانت فـى مصر أم فى الاقطار الشقيقة . وسأكتفى الان بذلك السجل على أن أعـود فى بحث آخر لدراسة هذه الاعمال بالتفصيل ان شاء الله تعالى . .

والله وحده ولى التوفيـق . .

الفصل الاول

السلطان قايتبـــــــاى

تاريخ حياتـــه :

قايتباى هو السلطان الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين قايتبـاى المحمودى الظاهرى [1] ولد عام ٨٢٦ هـ (١٤٢٣م) فى بلاد الجراكســه. أحضره الخواجا محمود عام ٨٣٩ هـ ضمن رقيقه فاشتراه منه السلطـــان الاشرف برسباى هو وغيره من المماليك نظير خمسين دينارا لكل فـــرد [2] وعندما توفى برسباى وجاء من بعده السلطان الظاهر جقـق اشتـــراه بالتالى واستمر فى رقه حتى اعتقه وعندذلك أخـذ يرتقى فى مناصـــب الدولة حتى أصبح أتابـك [3] الجيش فى عهد السلطان الظاهر تمربغـا (تيمور بغـا) .

توليته السلطنـة :

وفى مساء يوم من أيام رجب عام ٨٧٢هـ دخل القلعـة ـ مركـــــــز السلطان ـ فريق من المماليك وعلى رأسهم الامير خيـر بـك وأغلقوا الابـواب وقبضـوا على السلطان الظاهـر تمربغا وأتباعه وكبلوهم بالحديد وسجنوهـم وجلس خيربك على العرش حتى الصباح وقد حدث ذلك فى غياب الاتابـــك قايتباى ، وعندما بلغـه هـذا الامر رجع بسرعة . وعلم بذلك خير بك وخاف

---

(١) كل هذه التسمية تعتبر القابا له. وقد سمى المحمودى نسبة الى محمود الذى أحضره الى مصر كما سمى بالظاهرى نسبة الى من أعتقه (الظاهـر جقمق) .

(٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص ٦١٦ .

(٣) الاتابك ـ معناها أمير الجيش أى رئيس الجيش.

العاقبة فأخرج السلطان من سجنه واعتذر له عن عمله ولكن السلطان لم يرغب في أن يسترق السلطنة حرصا على كرامته . وفي اليوم التالي اجتمع الخليفة الجمالي يوسف المستنجد بالله (الذى توفى عام ٨٨٤هـ) بالقضاة والامراء وكبار رجال الجيش فعزلوا الظاهر تمربغا وولوا قايتباى وكان في بادئ الامر ممتنعا عن لبس شعار الملك ولكنهم ألبسوه اياه بالقوة وهو يبكي (١) مما يدل على أنه ليس كبقية المماليك الذين يحصلون على الحكم بالفتن والغدر.

وسار قايتباى في موكب حافل وتمت بيعته وذلك في يوم الاثنين ٣ رجب عام ٨٧٢ هـ (يناير ١٤٦٨م) وكان له من العمر خمسة وخمسون عاما. واعتذر للسلطان السابق وأرسله الى دمياط مكرما معززا .

صفاتـــــه :

يعتبر قايتباى الحادى والاربعين من سلاطين دولة المماليك بمصر والخامس عشر من الجراكسة . وكان ذا حشمة ووقار كفئا للسلطنة، طويل القامه ، نحيف الجسد ، أشيب اللحية ،شجاعا عارفا بأنواع الفروسية ، ولا سيما لعب الرمح والصولجان والكرة ، تقيا لا يشرب الخمر ،محبا للعلم كثير المطالعة متصوفا ،راجح العقل ، سديد الرأى عارفا بأحوال المملكة يضع الامور في نصابها ، لم يكن عجولا ، محبا للسياحة مانفى ولا سجن قط . (٢)

---

(١) ابن أياس ج ٢ ص٩٠ .
(٢) ابن أياس ج ٢ ص ٩٨ .

كان هذا الرجل يوصف في بعض الاحيان بالبخل والطمع وحبه للمال ولكن آثاره الخالدة ووقفياته تدل على أنه صرف أموالا طائلة في تشييد تلك الاثار ،وأن جمعه للمال ربما كان لارضاء غريزته المعمارية. ولا ننسى ماصرفه من الاموال الكثيرة على الحملات العسكرية في ذلك الوقت .

رحلاتـــه :

طاف بالبلاد المصرية عدة مرات كالاسكندرية ورشيد ودمياط والفيوم وغيرها . كما أنه حج مرتين عام ٨٤٧ و ٨٨٤ هـ وسافر الى القدس عام ٨٨٠ هـ وأزال ماكان به من مظالم . وسافر مرة أخرى الى بلاد الشام وفي هذه المرة مرض مرضا شديدا بدمشق . وفي كل هذه البلاد ترك لنا آثارا تتحدث عنه .

أولا : الثورات الخارجية التي واجهها :

واجهت قايتباى عدة ثورات أهمها :

أ - محاربة شاه سوار بن ذى القادر : وقد أرسل اليه السلطان عدة حملات وكان نصيبها جميعا الهزيمة وأخيرا أرسل اليه حملة بقيادة الامير يشبك الدوادار وتغلب على سوار عام ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) وأرسل الى القاهرة حيث شنق على باب زويله. (١)

---

(١) الخطط التوفيقية ، ص٤٧ .

ب - محاربته السلطان محمد ملك الروم من قبل العثمانيين : فقد وقعت فتنة بينه وبين قايتباى وتجددت الحملات بينهما فى بلاد الشام وكان النصر حليف قايتباى دائما. ولكنه أراد أن يحسم الامر بأن يوقع صلحا معه وبذلك هدأت الاحوال .

ثانيا : الثورات الداخليـــة :

نضيف الى هذه الثورات الخارجية التى واجهته ثورات أخرى داخلية فكثيرا ماكان يثور العربان وخصوصا فى صعيد مصر وكان يرسل الامير يشبك لقمع هذه الفتن . هذا بالاضافة الى الجنود الذين كانوا يثورون حين لاخر لقلة ماينفق عليهم . . الامر الذى خلع من أجله السلطان نفسه بيده ولكن رجاه الجميع للعودة وجاء الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز والقضاة وجددت له البيعة مرة أخرى فى ربيع الاخر عام ٨٩٤هـ .

وصادف عهد قايتباى انتشـــار مرض الطاعون ثلاث مرات . كل تلك المحن جعلـت السلطان يزيد من الضرائب بوجه عام .

حبه للعمــــــارة :

وبالرغم مما صادف السلطان قايتباى من مشاكل عديدة نجده محبا للانشاء والتعمير ،فقد أنشأ القناطر والمساجد والمدارس والاسبلة (١) والوكالات وغيرها كما أنه أمر بتجميل المدن وتوسيع الشوارع والازقة وفى عهده أنشئ حى الازبكية الذى كان من قبل أرضا غير مستصلحة ذات مستنقعات .

(١) جمع سبيل والسبيل الطريق واليه نسب ماكانوا يضعونه لسقيا الماء على الطريق .

نهايتــــه :

لم يرزق قايتباى من الاولاد سوى ابنه محمد ولم يتزوج مدة حياته ســوى فاطمة بنت العلائى على بن الخاطر بك واستمرت معه الى أن مات وكــان ذلك يوم الاحد ٢٧ من ذى القعدة عام ٩٠١ هـ (١٤٩٠م) بالقلعـــة وأخرج صبيحة يوم الاثنين وكان له من العمر خمسة وسبعون عاما هجريـة وكانت مدة حكمه تسعة وعشرين عاما وأربعة أشهر وهذه المدة لم تتفق لاحـد من الحكام غيره . وقبل وفاته مباشرة اجتمع الخليفة والامراء والقضاة وعزلـوه وأخذت البيعة لابنه محمد وكان له من العمر أربعة عشر عاما ولقب بالملـك الناصر ودفن قايتباى بمدفنه المشهور بالقرافة الشرقية .

الفصل الثاني

وقفيـــات قايتبـــاى

للسلطان قايتباى عدة وقفيات [1] منها ماهو مخصص لفائدة عماراتـــه ومنها ماهو مخصص للافراد كالتي خصصها لقريبه السيفو بن قرقمـــاس على أن يصرف من ايرادها على عماراته أيضا . ومنها ما هو مخصص للفقـــراء من أهل المدينة .

وأهم هذه الوقفيات التى خصصها على عماراته هى المؤرخة بتاريـــخ ٦ من جمادى الاخره [2] عام ٨٦٤ هـ وقد وقف فيها عدة أملاك على مبنـــاه بالقرافه الشرقية المكون من الجامع والمدرسة والسبيل والكتاب وكذلك علـــى بعض آثاره الاخرى .

ومن هذه الاملاك الثابته عدة منازل وحمامات وحوانيت بالقاهـــرة وأراضى زراعية فى بلاد متعددة من بلدان مديرية الشرقية والغربيـــة والقليوبية وينص فى هذه الوقفية على المرتبات التى تصرف على الموظفيـــن ، فمثلا كان للامام (بجامع القرافه) ٥٠٠ درهم فى الشهر ، وهكذا لجميـــع الوظائف الاخرى علاوة على بعض تلاميذ الكتاب .

---

(١) وقفيه معناها أن يوصى الانسان بجنى عقار أو أراضى زراعية يرجع ريعهـا لصالح شىء آخر . وتستمر هذه الفائدة بعد وفاة الواقف حســب ماينص فى الوقفية .

(٢) وفى رواية أخرى ٣ شعبان من نفس السنة .

كل هؤلاء يتناولون أجورا معينة فى الشهر علاوة على الخبز الذى يوزع عليهم يوميا وعلى كسوة توزع سنويا وفى شهر رمضان والاعياد تصرف لهم علاوات اضافية .

وله وقفية ثانية مؤرخة بتاريخ ٢٥ من المحرم عام ٨٧٥ هـ مكونة من عدة أماكن وحوانيت وقاعات . وما يلفت النظر منها عمارة أنشأها بجوار جامع الازهر تشتمل على أربعة عشر حانوتا .

وله وقفية ثالثة مكونة من عدة أماكن سكنية وبساتين بجزيرة الروضه وأراض زراعية بمديرية الشرقية .

والوقفية الثانية والثالثة موقوفة على قريبه السيفى بن قرقماش ومن بعده لاولاده ويصرف من ايرادهما أيضا على سبيل لقايتباى يعلوه كتاب وبجواره ساقيه وحوض وذلك بدرب الاتراك . (١)

ونجد له وقفية أخرى رتبها على فقراء أهل المدينة . ويقول لنا ابن أياس أنه فى ربيع الاول عام ٨٨٥ هـ عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة ولما تكامل المجلس أظهر السلطان مبلغا قدره ستون الف دينار من الذهب وشرح للمجلس أنه يريد أن يعمل عملا يدر خيرا مستمرا لفقراء أهل المدينة . وأن هذا المبلغ من ملكه الخاص وليس من بيت المال ثم شرع السلطان فى بناء ربوع كثيرة منها ماهو بباب النصر وربوع أخرى فى جهات مختلفة .

ومن المبانى المذكورة فى وقفياته ماقد قام ببنائه أو ما اشتراه من مبان قديمة وقد تكون جزءا من بيت أو أرض . وجميع هذه الممتلكات ملك

---

(١) هذا السبيل يكون جزءا من عمارة له بجوار الازهر كماسنرى فيمابعد .

شرعى للسلطان ، ونعرف فى الكثير منها على تاريخ مبايعته .

ونستطيع أن نستنتج من وقفياته مايلى :

١ - كان السلطان محبا للخير والتعمير لم يشأ أن يترك ما يخلد ذكراه دون أن يوقف عليه من امواله حتى لا يندثر ويزول الغرض منه .

٢ - كان السلطان عادلا لا يوقف شيئا الا ماكان من ماله الخاص ولم يأخذ شيئا من بيت المال بدون حق ، وكثيرا مانرى أن من ممتلكاته جزءا من منزل مثلا مع أن فى استطاعته أن يستحوز على المنزل بأكمله لو استخدم سطوته ومركزه ولكنه لم يفعل .

٣ - ساعدتنا هذه الوقفيات على معرفة الوظائف المختلفة التى ترتبت على عماراته فمثلا نجد أنه يعين معماريا ومرخما وسباكا ، وذلك لصيانة مبانيه .

٤ - هذه الوقفيات تساعدنا مساعدة جدية على معرفة آثار هذا الرجل ومواقع هذه الاثار بل وتصف هذه الوقفيات أيضا بعض هذه الاثار وصفا دقيقا ممتعا بلا مبالغة او تقصير فهى تصف لنا الحقيقة تماما . وهذا يساعدنا على امكان اعادة رسم مساقط هذه المبانى ووضع صورة حقيقية لها ومعرفة ماوصلت اليه الفنون فى ذلك الوقت .

الفصل الثالث

الاعمال المعمارية

اقايتباى أعمال معمارية كثيرة منها ماهو بمصر ومنها ماهو بالمدينة ومكه وبلاد الشام . ولم نجد فى جميع العصور الاسلامية بمصر مثل هذا الانتاج الضخم لاى سلطان من السلاطين .

وهذه الاعمال اما أن تكون منشآت جديدة أو اصلاحات أو تجديدات قام بها السلطان . ونلاحظ أنه لا يكتب اسمه الا على أعماله فقط بعكس ماكان يفعله الكثير من السلاطين بمحو اسم غيرهم وتسجيل اسمهم على المبانى لنسبتها اليهم .

ونستطيع أن نقسم هذه الاعمال الى عدة أنواع مختلفة :

من عمارة حربية ودينية وجنائزية وسكنية وتجارية بالاضافة الى مبانى الخدمات والمبانى العامة . وكثيرا مانجد المبنى الواحد يشمل اكثر من وظيفة .

ومن هذا يمكن القول بأن السلطان قايتباى كان محبا بطبيعته للتعمير والانشاء كما ظهرت ميوله الدينية فى العمارة ، ولذلك نرى ان معظم ماخلفه لنا كان من العمارة المدنية والدينية .

أما عمارته الحربية فكانت قليلة بالرغم من أن البلاد تعرضت فى عهده الكثير من الاضطرابات سواء كانت من الداخل او الخارج وهذا النقص فى الاستحكامات والحصون يدل على أن الرجل لم يكن برجل حرب كصلاح الدين مثلا ،وبالرغم من هذا استطاع قايتباى أن يتغلب على المحن الحربية التى واجهته .

القلاع (الابراج) والاسوار :

١ - سور بلدة تروجـــــه. (١)

٢ - أنشأ برجا بمدينة رشيد : أمر ببنائه فى ذى الحجة عام ٨٧٦ هـ ، وكشف عليه فى جمادى الاولى عام ٨٨٤هـ وكان المشرف على البنـاء مقبل الحسينى . (٢)

٣ - أنشأ برجا بالاسكندرية : (لوحه ١) وهذا الاثر يعتبر أكبر آثـــاره الحربية ويقول لنا ابن أياس(٣) أنه فى ربيع الاول عام ٨٨٢هـ (يونيو - يوليه ١٤٧٧م) سافر السلطان ومعه كثير من الامراء الى الاسكندرية لزيارة المكان القديم للفنار وأمر بانشاء برج (حصن) فى هـــــذا المكان وعلى الاساسات القديمة للفنار . وفى جمادى الاولى عام٨٨٤هـ (يوليه - أغسطس ١٤٧٩م) ذهب مرة أخرى الى الاسكندرية وذلــك بعد الانتهاء من العمل لرؤية المبنى ولا يزال بعض هذا الاثرالكبيــر قائما الى الان . وكان المشرف على عمارته الهدرى بن الكويـــــزر والعلائى بن قاضى بك (٤). ويذكر لنا ابن اياس أيضا أنه كــــان متصلا بالشاطئ بواسطة ممر معقود . والحصن يشتمل على مسجــــد وطاحونه وفرن ومخازن للاسلحة ، ومقعد مطل على البحر لرؤية المراكب التى تدخل الميناء - والسور الذى يحيط بهذه المبانى كان يتخللــه أماكن خاصة للمدافع لحماية المدينة . ويسكن الحصن دائما جنــــود على أتم استعداد . ويقال أن السلطان أنفق على بنائه أكثر مــــن مائة الف دينار (٥) وقد وجدت بعض النصوص التاريخية تسب هذا المبنى

(١) السخاوى ص٢٠٩ ولم يذكر لنا تاريخ الانشاء .
(٢) ابن اياس ص١٢٤ ، ١٨٩ .
(٣) ابن اياس ص١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٩ .
(٤) السخاوى ص ٢٠٩ .
(٥) انظر ص١٠٧ ، ١٠٩ من مقالة Hertz-Beg in Comite

لقايتباى (فوق المدخل وعلى جانبي أحد المزاغل) .

أما العمارة المدنية فتشمل عدة أنواع من المبانى منها القصور والمنازل والقاعات والاسبلة والمدارس وأحواض شرب الدواب والتكايا والربوع والخانات .

وبوجه عام فان المبانى المدنية لم يعط لها العناية الكافية التى كانت تعطى للمبانى الدينية وربما كان هذا راجعا الى أن العقائد الدينية تفضل الحياة الاخرى ولا ننسى أيضا أن من عادة الحكام المسلمين الا يسكن السلطان أو الامير مكان غيره ومذلك كثرت المساكن التى كانت تبنى على عجل . وليس معنى هذا أنه لم يعن بنقوشها وزخرفتها بل ترك لنا الفن الاسلامى مساكن تعتبر نموذجا صادقا للذوق الفنى الاسلامى . وخاصة فى العصر التركى وعلى العموم فان قايتباى كان رجلا متصوفا زاهدا فى الحياة ولابد أن نتوقع أن مبانيه المدنية كانت بسيطة ليس فيها من آثار البذخ والملك مانشاهده فى بعض الاثار الاخرى .

الاسبلة والاحواض :

يتكون السبيل عادة من طبقتين الاولى تحت الارض وهو البئر وله غطاء من الرخام أو الحجر والثانية فى مستوى أرضية السبيل أو تعلوه قليلا وفيها المزملة لتوزيع المياه بأكواب من النحاس مربوطة بالسلاسل . وللسبيل شباك أو أكثر من النحاس المزخرف . وقد اعتنى قايتباى بهذه الاسبلة وكان لها شأن كبير فى عمارته ، وهى فى العادة اما أن تكون منفردة واما أن تكون ملحقة بالمبنى وهى الغالبة اذ نرى السبيل ملحقا بكتاب لتربية الاطفال أو ملحقا بالجامع ويكمل المجموعة حوض لشرب الدواب بجوار السبيل مصنوع من الحجر وفى كثير من الاحيان كانت تغطى بسقيفة مرتكزة على أعمدة صغيرة مزخرفة.

وكان للاسبلة والاحواض أوقاف خاصة يصرف عليها من ريعها لاستمرار بقائها ومنفعتها .

ويمكن تقسيم هذه الاسبله والاحواض المتعددة الى :

أسبلة وأحواض منفردة - أسبلة يعلوها كتاب - أسبلة ملحقة بمبان أخرى ويجاورها أحواض.

٤ - أنشأ قايتباى حوضا لشرب الدواب بين ربع الصوفيه والمدرسة بالقرافة الشرقية وبها بعض الكتابات التى تنسبها الى السلطان قايتباى ولكن بدون تاريخ . ومن المحتمل أن تكون قد بنيت فى فترة بناء المدرسة أى حوالى عام ٨٧٩ هـ (١٤٧٤م) .

٥ - أنشأ قايتباى حوضا لشرب الدواب بقلعة الكبش ولا يزال منه الحائط الخلفى باقيا الى الان وبه شريط من الكتابة تحمل اسم السلطان ولكن بدون تاريخ . وقد أرخه الاستاذ كرزول (١) بعام ٨٨٠ هجرية (١٤٧٥م) لانه يشبه الحوض السابق بالقرب من مدرسته بالقرافة الشرقية . ولكن لانستطيع أن نعتمد كثيرا على هذا التاريخ لان هذه الاحواض تتشابه ولاسيما وهى من صنع رجل واحد .

٦ - يذكر لنا ابن اياس انه فى محرم عام ٨٨٥هـ كشف قايتباى عن عمارة سبيله بسويقة عبد المنعم بالرميله (بالصليبه) وكان المشرف عليها (قانى بك قرا) وكان فى نفس هذا المكان سبيل آخر هدمه قايتباى لانه يعترض أحد الشوارع وكان هذا السبيل لجانى بك . ويفسر لنا هذا سبب انشاء هذا السبيل ليحل محل الاول . ولا زالت بعض آثاره باقية فى المكان الذى يعرف الان بمدرسة شيخون . ونجد شريطا من الكتابة أعلى الواجهة الشمالية والغربية تنص على أن السبيل انتهى بناؤه فى

---

(١) انظر كتاب Creswell: Brief Chronology, p. 152.

رمضان عام ٨٨٤ هـ (نوفمبر - ديسمبر ١٤٧٩م) . ونجد نصا آخر على يمين وشمال المدخل به تاريخ مقارب للتاريخ السابق وهو ذو الحجة عام ٨٨٤ هـ (فبراير - مارس ١٤٨٠م) اى بعد ثلاثة أشهر تقريبا . وقد أصلح هذا السبيل وأعيد بناء الطابق العلوى منه [١] والذى كان مخصصا الكتاب بعلو السبيل .

ويذكر لنا السخاوى [٢] ثلاثة أسبلة منفردة بناها قايتباى ولكن لم يذكر تواريخها وهى :-

٧ - سبيل وصهاريج للماء بجوار الزردخانة بالقلعة .

٨ - سبيل بزيادة جامع أحمد بن طولون ولا زالت بقاياه موجودة الى الان .

٩ - سبيل بجهة مقطع الحجارين بالمقطم بالقرب من القلعة .

١٠- ويقول لنا ابن أياس أنه فى شعبان عام ٨٧٤هـ انتهى قايتباى من عمارة السبيل وفوقه كتاب بجهة القشاشين بتحت الربع وكانت من أجمل مبانيه وهى بالقرب من جامع الفتح .

١١- أنشأ قايتباى سبيلا يعلوه كتابا بجوار الجامع الازهر بدرب الاتراك ومن المحتمل جدا أن يكون هذا المبنى جزءا من الربع والخانة [٣] (وكالة) الذى بناه قايتباى فى هذا المكان فنجد السبيل فى الزاوية الشمالية الغربية منه أما الزاوية الشمالية الشرقية فتهدمت ونلاحظ وجود كتابات على يمين وشمال المدخل الرئيسى بمنتصف الواجهة (بين الزاويتين) وهى تحمل اسم قايتباى ومؤرخة فى رجب عام ٨٨٢هـ [٤]

---

(١) السخاوى ص ٢٠٩

(٢) السخاوى ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) السخاوى ص ٢٠٩ .

(٤) انظر كتاب Corpus- p. 463.

(أكتوبر عام ١٤٧٧م) . أما الحوض المجاور لهذا المبنى والقائم الى الان فيحمل اسم قايتباى ضمن زخرفة بعض عقوده ، ويؤرخه الاستاذ كرزول بتاريخ يسبق وفاة قايتباى أى قبل عام ٩٠١هـ ولكن لا توجد أسباب كافية لفصل الحوض عن السبيل والكتاب وخصوصا وأن السخاوى ذكره ضمن هذا المبنى ولابد أن يكون جزءا مكملا للمبنى وينطبق عليه نفس التاريخ .

١٢- وهناك سبيل آخر لقايتباى بمدفن الجندى بالقرافة الشرقية بجوار مدرسته مؤرخا بتاريخ ٨٧٩هـ (١٤٧٤م) .

المدارس والمساجد :

يعتبر صلاح الدين الايوبى أول من أدخل نظام المدارس فى مصر عقب سقوط الدولة الفاطمية وذلك لنشر المذاهب السنية ، وكان الشكل الذى اتخذته المدرسة منذ منتصف القرن ١٤ هو الشكل المتعامد وذلك بعد عدة تطورات مربها التصميم العام للمدارس . وكان هذا الشكل المتعامد يتكون من فناء أو صحن محاط بأربعة ايوانات واجهاتها مفتوحة بأكملها على الصحن وتكون شكلا صليبيا من الداخل ونجد فى الاركان الاربعة للصليب المداخل والغرف المختلفة الخاصة بالمدرسين والطلبة وغيرذلك .

ونلاحظ بوجه عام أن فى عمارة قايتباى انتشر هذا التصميم المتعامد وطغى على التصميم العام للمساجد وأصبح يؤدى وظيفة المدرسة والمسجد معا ولاشك أن هذا التصميم له بعض المميزات فلا نجد به الاعمدة والاكتاف التى تضايق المصلين وتحجب الواعظ عن الانظار . وهناك بعض التطورات التى طرأت على هذا التصميم المتعامد وظهرت واضحة فى عمارة قايتباى وهى :

١ - وضع المقبرة في مكان ظاهر.

٢ - صغر مساحة الصحن الداخلي كاغطى في بعض الاحيان بمنور زاد في جماله المعماري وأضاف للصحن عنصرا زخرفيا جديدا .

٣ - وضع سبيل في أحد الاركان المطلة على الشارع مباشرة.

٤ - انشاء مكتب لتعليم الاطفال في طابق يعلو السبيل وبذلك أصبح هذا التصميم يشمل عدة أغراض مختلفة :

مسجد لاقامة الصلاة (بتكبير مساحة ايوان القبلة) ومدرسة لتعليم المذاهب الاربعة وسبيلا لشرب المارة وكتاب لتعليم الاطفال ، ومقبرة لصاحب المبنى - كما الحق بهذه المجموعة بعض المباني الاخرى كحوض لشرب الدواب وغير ذلك .

١٣ - يقول لنا ابن أياس (١) أنه عندما سافر السلطان قايتباى الى بلاد الشام مر بقرية القرين وأمر ببناء جامع وسبيل وحوض هناك وذلك في رجب عام ٨٨٠هـ وفي شعبان عام ٨٨٣هـ رجع السلطان الى تلك القرية لرؤية عمارته وكان المشرف على البناء يشبك الجمالي .

١٤ - ويقول لنا نفس المرجع السابق (٢) أنه في محرم عام ٨٨٢هـ ذهب السلطان هو وبعض الامراء الى العباسة بمديرية الشرقية لمشاهدة الجامع والسبيل والحوض الذى أنشأها هناك .

١٥ - وفي الخانقاه أمر السلطان في صفر عام ٨٨٥هـ ببناء زاوية وسبيل وصهاريج بالقرب من قنطرة السرج والزيات .

---

(١) ابن أياس ص ١٦١ ، ١٨٤ .
(٢) ابن أياس ص ١٧١ .

١٦- أنشأ السلطان جامعا وسبيلا بالقرب من باب القرافة (عطفة البيارة) ولم يبق من هذا الاثر سوى السبيل وجزء من المدخل على جانبيه كتابة تحمل اسم السلطان وتاريخ الانشاء اول عام ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) (١) وقد أزيل هذا السبيل حديثا ونقلت بقايا الكتابة الى مخازن الاثار.

١٧- مدرسة ومقبرة السلطان قايتباى بالقرافة الشرقية : (لوحة ٢)

يعتبر هذا المبنى أجمل الاعمال المعمارية للسلطان قايتباى بل ومن أجمل الاثار الاسلامية عامة .

نلاحظ في هذا المبنى عددا كبيرا من النصوص التاريخية التي تساعدنا على تفهم الاعمال المختلفة فيه فمثلا نرى التاريخ ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) على يمين ويسار المدخل في الواجهة الشمالية كما كتب على الحائط الجنوبي الشرقي والشمالي للايوان الشرقي : رجب ٨٧٧هـ (ديسمبر ١٤٧٢م) كما أن الصحن انتهى العمل فيه في رمضان ٨٧٧هـ (فبراير ١٤٧٣م) والايوان الغربي انتهى العمل فيه في رجب ٨٧٨هـ (نوفمبر - ديسمبر ١٤٧٣م) وكذلك المقبرة انتهت في رجب ٨٧٩هـ (نوفمبر - ديسمبر ١٤٧٤م) أما المنبر فقد تم عمله في ربيع الاول ٨٧٨هـ (أغسطس ١٤٧٣م).

ويذكر لنا ابن اياس أن افتتاح هذا المبنى كان في عام (٨٧٩ هـ (١٤٧٤م) ، كما أنه يقول أن في شوال عام ٨٧٤هـ (ابريل ١٤٧٠م) كان تأسيس هذا المبنى وهذا طبيعى فان السلطان أمر بالبناء عقب توليته السلطنة كما هى عادة غالبية الامراء والسلاطين فأول ما ينشأ كانت مقابرهم ، ولكن تاريخ البدء في الانشاء الحقيقى

(١) انظر ص ٣٦٦ من كتاب Corpus

لهذا المبنى كان فى عام ٨٧٧هـ (١٤٧٢م) وكان يحيط بهـذا المبنى عدة مبان صغيرة كملحقات له كحوض لشرب الدواب وربع كان مخصصا لاقامة الصوفية .

والمبنى يصعد اليه بعدة درجات (١٣ درجة من الرخام كماهو منصوص فى وقفيته) توصل الى المدخل الرئيسى فى الواجهة الشمالية حيث نجد على اليسار السبيل ويعلوه الكتاب وعلى اليمين نجد المئذنة ثم نتجه قليلا الى اليمين فنجد صحنا مربعا تحيط به أربعة ايوانات اثنان منها صغيران وهما الشمالى والجنوبى أما الشرقى فأكبرها وبه المحراب . أما الغربى فهو بعرض الشرقى ولكن أقل عمقا . والذى يسترعى النظر هو الزخارف والكتابات الجميلة المختلفة التى تملأ المبنى . ويتكون السبيل من عدة عقود كبيرة بها حشوات مزخرفة من البرنز كما نجد به عدة درجات جانبية تسمح لنا بالوصول الى الجزء السفلى من السبيل . أما الكتاب الذى بأعلاه فيتكون من لوجيا ذات عقدين فى الواجهة الشمالية وثلاثة عقود من الناحية الشرقية وترتكز هذه العقود على أعمدة صغيرة مزخرفة . كما أن المئذنة والقبة التى تغطى المقبرة تتناسب فيما بينها وتزخرف القبة من الخارج زخارف هندسية ونباتية منحوتة نحتا دقيقا على الحجر أما من الداخل فنقشت بزخارف مذهبة ملونة وبالمدرسة مجموعة من الشبابيك الجصية الدقيقة التى تستحق الفحص والدرس .

١٨- مدرسة قايتباى بالروضة : (لوحة ٣) (١)

كان فى موقع هذه المدرسة جامع يسمى بجامع الفخر جدده

---

(١) انظر : ص ٥٢٥ ، ص٥٢٦ من كتاب Corpus
ص ٢٥ ، ص٢٦ من كتـــاب Comite

الصاحب شمس الدين المقس ولذلك كان يسمى بجامع المقس ثم تخرب وأصبح مهجورا الى أن جاء قايتباى وهدمه وأنشأ مكانه تلك المدرسة وكان البدء فى البناء فى ربيع الاول عام ٨٨٦هـ (مايو ١٤٨١ م) وفى عام ٨٩١ هـ (١٤٨٦م) أنشأ حول المبنى حديقة وربعا وقاعة وعدة حوانيت وكان المشرف على عمارته هو البدر حسن بن الطولونى المهندس(١) .

ويذكر لنا ابن أياس أن الانتهاء من هذه الاعمال كان فى عام ٨٦٦هـ (١٤٩١م) (٢) .

وكان فى منتصف كل شهر تقام بالمسجد الحفلات الدينية أمام النيل وفى عام ١١١٦هـ (١٨٠١ م) (٣)احترق المسجد وقضى الحريق على غالبية نجارته . وهو الان أقل مساجد قايتباى زخرفا ولعل ذلك راجع الى ما أصابه من تلف . وهذه المدرسة مكونة من صحن وأربعة ايوانات الشرقى منها أكبرها وبه المحراب والمنبر وبالواجهة الشرقية نجد المدخل الرئيسى وقد كتب على جانبيه اسم المنشىء . وتقوم المنارة على يساره وبالمدرسة الكثير من الكتابات وأدخل على المبنى عدة تصليحات وتجديدات وخاصة فى العصر التركى والحديث .

١٩- مدرسة قايتباى بقلعة الكبش : (لوحة ٤) .

وهو على النظام السائد : صحن يحيطه أربعة ايوانات أكبرها ايوان القبلة وللمدرسة بابان أحدهما فى الواجهة الشمالية تحفه

---

(١) السخاوى ج ٦ ص ٢٠٨ .
(٢) ابن اياس ص ٢٧١ .
(٣) حسن عبدالوهاب ص ٢٧٤ .

نصوص وكتابات تحمل اسم المنشئ والاخرفى الجهة القبلية وبه كتابات ايضا وارضيته من الرخام الملون . كما نرى كتابات بحوائط الصحن مؤرخة بتاريخ اول شعبان عام ٨٨٠هـ (نوفمبر ١٤٧٥م) كتاريخ الانتهاء من الاعمال .

وفى قبلته عمودان من الرخام باعلاها زخارف محفورة فى الحجر والمنارة بجوار المدخل . ويكمل المدرسة سبيل وحوض لشرب الدواب. وأوقف قايتباى على هذه المدرسة ربعا أنشاء خصيصا بهذه الجهة.

٢٠ـ أنشأ قايتباى مدرسة بدمياط [1] لا نعلم تاريخها بالضبط ولا زالت بعض بقاياها موجودة الى الان .

٢١ـ مسجد سلطان شاه : لوحة ٥) .

أنشأ هذا المسجد الامير سلطان شاه بن قرا فى دولة السلطان شعبان بن قلاوون بشارع غيط العده (بالقرب من باب الخلق) . وتوفى سلطان شاه فى عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) . وعندما جاء قايتباى هدم هذا الجامع ووسعه باشراف الامير تغرى بردى [2] وذلك بعد عام ٨٨٠ هـ (١٤٧٥م) [3] وأنشأ قايتباى ربعا تجاهه [4] وقد جدد هذا المسجد حديثا ماعدا بعض أعمدته المثمنه وواجهة الايوان الشرقى التى تحمل كتابات محفورة تنسبه الى قايتباى ولكن بدون تاريخ . ويتكون المسجد من صحن مكشوف يحيط به أربعة ايوانات . والاعمدة مزخرفة بزخارف مدقوقه وهذه الطريقة انتشرت فى عمارات قايتباى كالتى وجدت بمقعده بالقلعة وعمودى محراب مدرسته بالقرافه الشرقية وأعمدة الكتاب الملحق بها وغيرها . أما منبر هذا المسجد فموجود الان بالمتحف البريطانى بلندن

---

(١) السخاوى : ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩ .

(٢) السخاوى : ج ٦ ص ٢٠٨ ويذكرلنا هذا المؤرخ فى جهة أخرى أن قايتباى أنشأ جامعا بباب الخلق ولابد أنه يقصد مسجد سلطان شاه . ويؤرخه الاستاذ كرزول بقبل عام ٩٠١ (١٤٩٥م) .

(٣) حسن عبدالوهاب : ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ .

(٤) انظر عمل رقم ٣٧ .

وعليه كتابات تحمل اسم قايتباى .

٢٢- يذكرلنا السخاوى أن قايتباى أنشأ جامعا بالدقى تجاه الجزيــــرة الوسطانية ولا زال هذا الاثر موجودا الى الان ولكن طرأ عليه الكثيرمـــن التغييرات ولم يعرف تاريخ انشائه بالضبط .

٢٣- أنشأ قايتباى مسجدا بالصالحية وقد تكرر نزوله فيــه .

٢٤- أنشأ قايتباى زاويـة للعربان بطنيــــدا .

٢٥- أنشأ قايتباى زاوية بظاهر الخانقــاه .

٢٦- أنشأ قايتباى مسجدا عند مقطع الحجارين بجبل المقطم.

٢٧- أنشأ قايتباى مسجدا خارج باب القرافـــة.

القصور والمنازل والوكالات :

وجدنا فى عمارة قايتباى الكثير من المنازل والوكالات وتتكون المنازل مـــن طابقين أو ثلاثة كما هى العادة طابق للاستقبالات العامة وآخر للحياة الخاصة أما الوكالات فهى أبنية كبيرة تتكون من عدة طوابق سكنية تحيط بحوش داخلـــى مكشوف . والدور الارضى منها يتكون من عدة حوانيت مطلة على الشـــارع ومخازن وحواصل من الداخل ونجد بالواجهة الرئيسية المدخل بحيث يوصلنا الــى الحوش الداخلى . وهذه المنازل والوكالات أغلبها بنى خصيصا لتكون وقفا علـــى المدارس والمساجد والاسبله للانفاق عليها من ريعها .

٢٨ - قصر قايتباى : (لوحة ٦) وهو الذى يتكلم عنه السخاوى [1] بالميــدان

---

(١) السخاوى ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

الناصرى بجهة القلعة. وجد بعض بقاياه بشارع سكة الماردانى . وجد بـه عدة كتابات بعضها يحمل اسم قايتباى (وتاريخ الانتهاء من بنائه وذلك فى محرم عام ٨٩٠هـ (يناير- فبراير ١٤٨٥م) وهذا القصر يتكون مـن عدة مبان تحيط بحوش داخلى وأهم هذه المبانى مقعد للسلطان يتكون من ثلاثة عقود جميلة مطلة على الحوش.

٢٩- منزل قايتباى بشارع قلعة الكبش : تهدم هذا الاثر الان وكان فـى الاصل محلى بكورنيش بطول الواجهة ومرتكزا على كوابيل حجرية فـى مستوى الدور الاول وحفرت على هذا الكورنيش نصوص تاريخه وفى عام ١٨٩٠ فتح طريق فى هذه المنطقة كان سببا فى هدم المنزل ولكن حفظت أجزاء من الكورنيش بمتحف الاثار الاسلامية والكتابات التى وجدت به تنص علـى أن المبنى كان موقوفا لصالح مدرسة الامير سلامة وسنجر الجاولى ومؤرخة فى عام ٨٤٠هـ ويذكر لنا فان برشم[١] أن اسم قايتباى كان مكتوبا على هذا الكورنيش .

٣٠- منزل قايتباى بشارع التبانه[٢] : يذكر لنا على باشا مبارك [٣]أن مـن ضمن المبانى الموقوفه على مدرسته ومدفنه بالقرافه الشرقية منزلا بجهـة التبانه وهذا الاثر موجودة بقاياه الى الان بجوار مدرسة السلطان شعبان وتصل اليه من مدخل من احد المنازل. ولا نرى من هذا الاثر سوى مدخلـه على يمينه ويساره كتابات باسم السلطان ويعلوه كورنيش كتب عليه أيضا اسـم السلطان ولم نعثر على تاريخ هذا الاثر وعلى العموم يمكن وضع تاريـخ تقريبى له وهو قبل عام ٩٠٠هـ وهو تاريخ آخر وقفية لقايتباى قبل وفاتـه.

---

(١) انظر كتاب Corpus: p. 518-520.

(٢) انظر كتاب Comite, 1897- p. 11.

(٣) على مبارك ج ٤ ص ٧١

٣١- وكالة قايتباى بباب النصر : (لوحة ٧) ويعد هذا الاثر من أجمل آثار قايتباى تمتاز بواجهتها وماحوت من كرانيش وزخارف تستحق الدراسة ويرى على جانبى المدخل كتابات تنسب المبنى الى السلطان كما أنها تنص على أنها وقف على فقراء أهل المدينة. ونرى شريطا آخر من الكتابة يمتد بطول المبنى على جانبى المدخل أعلى الكوابيل الحجرية للدور الاول ولكنها بدون تاريخ .

ويذكر لنا ابن اياس(١) أنه فى عام ٨٨٥هـ عقب عمل الاحتفالات الخاصة بالمولد النبوى (ربيع الاول) أشار قايتباى على المجلس المنعقد اذ ذاك بأنه عندما حج وجد أهل المدينة من البوس والفاقة مايستحق أن يكونوا موضع عطفه فوعد أن يقرر لهم شيئا يصرف عليهم وعند ذلك أخرج ستين الف دينار من الذهب وابتدأ فى بناء أماكن لتوقف على أهل المدينة وهذه الوكالة خصص ايرادها لهذا الغرض ويصح ان نضع تاريخ ابتداء العمل فى هذا المبنى عام ٨٨٥هـ (١٤٨٠-١٤٨١م) .

٣٢- مقعد قايتباى بالقرب من مدرسته بالقرافة الشرقية : وهذا الاثر لابد وأن يكون جزءا من المبانى التى كانت تجاور المدرسة . نجد بأعلى واجهة هذا المقعد كتابات تحمل اسم السلطان ولكن بدون ذكر تاريخ الانشاء .

وبما أن هذا المبنى كان ملحقا بالمدرسة لذلك يصح أن نؤرخه فى فترة بناء المدرسة أى حوالى عام ٨٧٩هـ (١٤٧٤م) .

٣٣- ربع الصوفية بالقرافة الشرقية : لانرى من هذا الاثر سوى بابه وعدد من الغرف الصغيرة المقبية التى كانت مخصصة لسكن الفقراء من الصوفية ويؤدى الباب الى طرقة تؤدى بدورها الى حوش صغير وطويل نرى على جانبيه تلك الغرف الصغيرة وقد سمى فان برشم(٢) هذا الاثر وكالة ولكن

---

(١) ابن اياس ص ١٩٢ .
(٢) انظر ص ٤٣٩ ، ٤٣٧ من كتاب Corpus

نعتقد أن هذا الاثرماهو الا الربع الذى ذكره ابن اياس[1] وخصصه السلطان لسكنى الصوفية وكما يقول أنه تم فى رجب عام ٨٧٩هـ (نوفمبر - ديسمبر ١٤٧٤م) فى فترة بناء المدرسة. كماأن هذا التصميم لم يكن تصميم الوكالات التى تمتاز بحوش داخلى كبير مربع فى الوسط تحيطه الحواصل والغرف المختلفة من الجهات الاربع .

ويذكر لنا ابن اياس[2] عدداآخر من الربوع والمنازل نلخصهافيما يلى :-

٣٤- أنشأ السلطان ربعا بحدرة الكبش وكان المشرف على العمارة أحدالامراء واسمه تامق المؤيدى وكان الانتهاء من أعمالها فى ذى الحجة عام ٨٨٤هـ.

٣٥- وفى ذى القعدة عام ٨٩٥هـ ابتدأالسلطان بعمارة الربع الذى أنشأه على بركة الفيل ليكون سكنالولده . وفى صفرعام ٨٩٩هـ نزل السلطان من القلعة فى موكب هائل وذهب الى داره.

٣٦- أنشأ ربعا بالقرافة الشرقية بالقرب من بابها وذلك فى جمادى الاولى عام ٨٩٩هـ وذلك خلاف الربع الذى أنشأه لسكن الصوفية (الوارد فى عمل رقم٣٣) .

٣٧- أنشأ ربعا تجاه جامع سلطان شاه فوق المطهرة (وهو الذى ذكر فى عمل رقم (٢) .

٣٨- أنشأ مقعدا بحدرة البقر (الحلمية الجديدة الان) ويشمل دواراورواقا وغيرها وهذه الاعمال جزء من عمارة بيت جرباش .

٣٩- أنشأ عدة مبان فى القلعة : مقعد ومبينان حول الحوش والحواصل التى بجوار قاعة البحرة .

---

(١) ابن اياس ص ١٥٣ .

(٢) ابن اياس ص١٩٢ -١٩٤ - ٢٦٥ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ .

٤٠- يذكر لنا السخاوى ان السلطان أنشأ ربعا بالقرب من قنطرة الامير حسين (بالقرب من محكمة الاستئناف) ولكن لم يذكر شيئا عن تاريخ البناء .

٤١- يذكرلنا ابن اياس عندما يتكلم عن بناء أماكن موقوفة على أهل المدينة أن من ضمن هذه الاماكن خلاف ما ذكر ماكان بسوق البندقانيين وسوق الخشابين والدجاجين (بالقرب من جامع النورى) وذلك ابتداء من عام ٨٨٥هـ ويقول لنا السخاوى عن نفس هذه الاعمال أنها كانت عبارة عن ربوع متقابلة وحوانيت وحواصل وكان المشرف على العمارة شاهين الجمالى .

كما يقول ابن اياس أيضا أنه أنشأ عدة بيوت وأكمل أخرى بسويقة العزى وباب سرجا وبركة الفيل وسويقة اللالا وحدرة البقر وغيرها .

الابـــــــواب :

ولقايتباى بعض البوابات وهى :

٤٢- كان يحيط بمدرسته بالقرافة الشرقية وملحقاتها سور واحد به بعض البوابات تتكون احداها من عقد كبير على جانبيه بعض الزخارف وفى أيام المؤرخ مهرن (١) كانت قائمة أبواب أخرى وهى الباب الشمالى والجنوبى كما كانت الاجزاء الشرقية و الغربية من السور قائمة .

وطبيعى أن تاريخ هذه الابواب يدخل ضمن فترة بناء المدرسة أى حوالى سنة ٨٧٩هـ (١٤٧٤م) .

---

(١) انظر كتاب : Mebren: Melange Asiatique, V. 1, p. 532.

٤- ولقايتباى باب آخر لا زال قائما بجوار مسجد السيدة عائشة وهو يحمل اسم قايتباى ولكن بدون تاريخ ويؤرخه الاستاذ كرزول [١] بتاريخ ٨٨٠ - ٨٨٩ هـ (١٤٧٥-١٤٨٤ م) ويقول الاستاذ كزافوفا [٢] أن اصلاحات تركية أجريت بهذا الاثر ولكن تلك الاصلاحات لم تمس الا الواجهة الداخلية حيث نرى عقدا نصف دائرى . أما الواجهة الخارجية فهو من عهد قايتباى وهى ذات عقد مدبب .

المدافن (القباب)

٤٤- القبة الفداوية بالعباسية : (لوحة ٨) ويقول لنا ابن اياس [٣] فى ذكر حوادث ذى القعدة عام ٨٨٤هـ (١٤٨٠ م) بأن الامير يشبك شرع فى بناء القبة . . . ثم عاد فى ذكر حوادث عام ٨٨٦هـ (١٤٨١ م) فقال ان السلطان قايتباى عاين هذه القبة وأمر الامير تغرى بردى الاستدار بأن يكمل عمارتها لان الامير يشبك مات ولم يكملها ويعزز هذا الكلام عدة كتابات تاريخية تحمل اسم السلطان فنجد شريطين من الكتابة تحمل مديحا [٤] للسلطان أعلا وأسفل شبابيك القبة ونجد أيضا نصبا عند المدخل ينسب القبة الى قايتباى . ولكن بالرغم من هذا يعارضنا السخاوى وينسب المبنى كله الى يشبك . ولكن من الواضح أن يشبك مات قبل اتمام المبنى وجاء قايتباى وأكملها .

---

(١) انظر كتاب Creswell = Brief Chronology, p. 155

(٢) انظر كتاب Corpus, p. 521.

(٣) ابن اياس ص ١٩٢

(٤) كانت عادة الامراء ان يكتبوا على مبانيهم نصوصا كثيرة يمدحون فيها السلاطين وذلك لارضائهم وتخليدا لفضلهم.

وهذه القبة هي جزء من مجموعة مبان اندثرت الان مسقطها مربع طول ضلعه حوالي ٩٠ر١٩ متر ومغطاه بقبة كبيرةو الانتقال من المربع الى المستدير كان بواسطة المثلثات الكروية والقبة نفسها مبنية بالطوب ولهـا طراز خاص مغاير للقباب التي شاعت بمصرفي القرن الخامس عشر وهـو تشبه تماما قبة قايتباى بكوبرى القبة فقد تأثرتا بطراز القباب السورية لحد كبير .

وسميت بالفداوية [1] وغلبت هذه التسمية على اسم السلطان قايتباى وطى اسم الامير يشبك .

٤٥- قبة يشبك بن مهدى : (لوحة ٩) سراى القبة وتنسب خطأ للسلطان الغورى بها عدة نصوص تاريخية منها ربيع الاول عام ٨٨٢هـ . وربما أتمها قايتباى كماهو الحال في القبة الفداوية.

٤٦- أنشأ قايتباى قبة (مدفنا) للشيخ عبدالله المنوفى وذلك داخل القرافة الشرقية بالقرب من مدرسته ولا زالت بقاياها موجودة الى الان ومن المحتمل ان يكون بناؤها في عام ٨٧٩هـ (١٤٧٤م) .

القناطـــر :

اعتنى قايتباى بأعمال الرى واقامة الجسور وكان يكشف عنها دائما .

٤٧- ويقول لنا ابن اياس[2] ان السلطان ذهب في ذى الحجة عام ٨٨٣ الى الجيزة وكشف عن القناطر التي أمر بانشائها على يد الاتابك أزبك

---

(١) الفداوية طائفة من الاسماعيلية.

(٢) ابن اياس ص ١٨٥.

بشبرا منت وأقام هناك رصيفا خوفا من الفيضانات ويقال أن هذه القناطر كانت تشتمل على أكثر من أربعين عيناويذكرلنا ابن أياس أيضا أنه في شعبان عام ٨٨٥هـ (وفي رواية أخرى لنفس المرجع : ربيع الاول عام ٨٩٦هـ (١) تم العمل في هذه القناطر وقدم السلطان الهدايا الى أزبك ويقال أنه قد صرف عليها نحو ١٠٠ الف دينار.

---

(١) ابن اياس ص٢٧٦ .

الفصل الرابع

الاصلاحات والتجديـــــدات

قام قايتباى ضمن أعماله المعمارية بتجديدات واصلاحات للاثارالقديمــة وهــى :

٤٨- تجديد قناطر أبو المنجا : أمر السلطان فى جمادى الاخرة عام ٨٩٢ هـ بتجديد هذه القناطر وذلك تحت اشراف البدرى حسن بن الطولونــى وكانت هذه القناطر قد تهدمت وهى التى بناها الملك الظاهر بيبرس وصرف عليها قايتباى نحو سبعة آلاف دينار.

٤٩- يقول ابن اياس أن السلطان جدد قنطرة باب البحر ولم يذكر لنا تاريــخ ذلك .

٥٠- جدد قايتباى الايوان الكبير بالقلعة وكان بدء العمل فى ذى الحجــة عام ٨٧٥هـ وكان المشرف على العمارة ابن الكويزر كما جدد بعض القاعات الاخرى .

٥١- أجرى قايتباى عدة تصليحات بجامع الناصر محمد بالقلعة فقد سقطــت قبة الجامع فى عام ٨٩٢هـ [1] فأمر السلطان ببناء قبة أخرى كما جــدد منبر الجامع وكان من قبل من الخشب فجعله من الرخام الملون كمـــا جدد دورة المياه وكان المشرف على العمارة ابن الطولونى وكانـــت نهاية هذه الاعمال فى رجب عام ٨٩٣ هـ .

٥٢- جدد قايتباى جامع عمرو بن العاص ففى صفر عام ٨٧٦هـ (وفى رواية اخرى ٨٧٩هـ) ذهب الى الجامع وكشف عما تهدم وأمر باصلاحه .

٥٣- أجرى السلطان عدة تصليحات وتجديدات بالجامع الازهر (لوحة ١)

---

(١) ابن اياس ص٢٤٧ ، ص٢٥٢ .

ابتداء من عام ٨٨١هـ وآخر هذه الاعمال تم فى محرم عـــام ٩٠٠ هـ (١٤٩٥م) وأهم هذه الاعمال هى :

أ - جدد قابتباى الباب الغربى (وهو الرئيسى) القديم وكانت تعلوه المنارة وجدده على ما هو عليه الآن وذلك فى عام ٨٧٢هـ (١٤٦٨م)

ب - بنى على يمين الباب السابق منارة رشيقة بها عدة تقوب وكتابـــات وهى مكونة من ثلاثة طوابق امتازت بنسبها الحسنة وذلك فى عـــام ٨٧٢هـ (١٤٦٨م).

جـ - هدم الدكاكين التى كانت بسطح الجامع عام ٨٨١هـ (١٤٧٦م).

د - جدد دورات المياه وذلك فى عام ٨٨١هـ (١٤٧٦م).

هـ - عمل مقصورة خشبية على وجه الايوانات الثلاثه حول الصحن كما هو منصوص عنه فى لوحة تاريخية تنسب هذه الاعمال الى قايتبـــاى وبتاريخ رجب عام ٩٠٠ هـ (١٤٩٥م).

٥٤ - جدد قبة الامام الشافعى (لوحة (١) وكان المشرف عليها شمس الدين وذلك فى رمضان عام ٨٨٥هـ .

٥٥ - جدد مقياس النيل واصلح أساساته وذلك فى ربيع الاخر عام ٨٨٥ هـ .

٥٦ - جدد جامع احمد البدوى بطنطا فى محرم ٨٨٨هـ .

٥٧ - جدد عمارة الميدان الناصرى وذلك فى عام ٨٩٧ هـ وكان المشـــرف عليها أزبك .

٥٨ - جدد عمارة المدرسة المنصورية بجنب قلاوون فعطى الفسقية بقبة وجـــدد المنبر وذلك فى جمادى الاخرة عام ٨٩٩ هـ .

٥٩ - جدد زاوية الشيخ عماد الدين بحارة السقايين فعمل بها قبة ومنـــــارة ووسع ابوابها . (١)

---

(١) السخاوى ص ٢٥ ولم يذكر لنا تاريخ هذا العمل .

٦٠- أنشأ منبرا بخانقاه فرج بن برقوق (لوحة ١٢) وذلك في عام ١٨٤٨م.

٦١- جدد جامع الدسوقي باشراف البهلوان .

٦٢- جدد زاوية السبع بجوار جامع ابن الفارض .

٦٣- جدد الزاوية الحمراء (بمنية السيرج) .

٦٤- جدد المسجد النفيسي .

٦٥- جدد جامع شاكر بجانب قنطرة قو يدار.

٦٦- جدد جامع سلمون الغبار وعمل بجانبه سبيلا .

٦٧- جدد المدرسة السيوفية .

اعمال قايتباى بالحجاز وبلاد الشـــــــام

٦٨- أنشأ قايتباى (٨٨٧هـ - ٨٨٣هـ) مدرسة بالمدينة وكانت تطل علــى الحرم الشريف.

٦٩- وفى رمضان عام ٨٨٦هـ جاءت الاخبار من المدينة بأنه سقطت صاعقة علــى المسجد النبوى فألحقت به اضرارا جسيمة وأمر السلطان انذ ذاك بتجديد المسجد وكان المشرف عليه ابن الزمن وتمت هذه الاعمال فى أواخر عـــام ٨٨٧هـ .

٧٠- أجرى السلطان فى عام ٨٧٥هـ عينا بعرفات وكانت معطله .

٧١- جدد السلطان مسجد الخليل ابراهيم بجهة عرفات .

٧٢- أصلح بئر زمزم .

٧٣- أنشأ منبرا بالمسجد الحرام بمكـة.

٧٤- أنشأ سبيلا يعلوه مكتب بمكـة.

٧٥- أنشأ رباطا للفقراء والطلبة بجوار مدرسته بمكة.

٧٦- أنشأ مدرسة بمكة عند باب السلام.

٧٧- أنشأ عدة ربوع بمكـــة.

٧٨- أجرى اعمالا كثيرة بمسجد الخيف بمنى .

٧٩- جدد عين خليص واجرى اليها الماء وأصلح المسجد الذى كان هنـــاك

٨٠- عمر سقاية سيدنا العباس .

٨١- أنشأ عدة ربوع ودكاكين بدمشق .

٨٢- أنشأ مدرسة بدمشـق.

٨٣- أنشأ مدرسة بالقدس وانتهى العمل منها حوالى عام ٨٩٠هـ .

٨٤- أنشأ مدرسة بغـزة .

٨٥- أنشأ سورا ببلدة البيره (هى قرب سيمساط بين حلب والثغور الروميـــة وهى قلعة حصينة كما يقول ياقوت فى معجم البلدان) .

الجانب الاخلاقي في عمارة قايتبـــــاى

نستطيع أن نتلمس بعض الجوانب الانسانية والخلقية في اتجاهـــات السلطان قايتباى الى العمارة ومنها :

١ - أنه جمع - فيما يظهر لنا بين العمل للدنيا والاخرة فعمر المساجد وأقام الكتاتيب كما أنشاء القناطر وحصن البلاد . .

٢ - انه راعى جانب العلم فأقام المدارس وأنشأ الكتاتيب تمكينا للراغب فـــى العلم أن تجد بغيته وما يطلبه .

٣ - اعانة المسافرين وعابرى السبيل باقامة الاسبلة .

٤ - اعانة الفقراء وانشاء المساكن لهم .

٥ - احترام دور العبادة .

٦ - سعة النظرة الى المعمار فلم ينظر اليه من جانب واحد أو زاوية معينـــة بل ان حب السلطان للمعمار أفصح لنا عن جوانب مختلفة من اهتماماته .

٧ - حرص السلطان على متابعة أعماله والتأكد من تنفيذ ها على الوجـــــه الاكمل .

٨ - للاوقاف دلالة رمزية تفصح عن حرص السلطان على استمرار العمـــل . . وسيادة المبدأ الاخلاقي الذى يؤمن به .

وهكذا نستطيع دائما ان نتلمس حقائق الشخصية من خلال الاعمـــال العمرانية .

المراجع العربية

١ - ابن اياس : تاريخ مصر . ج ١ - بولاق ١٣١١ .
٢ - القاضي مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ .
٣ - امين سامي البارودي : تقويم النيل - القاهرة ١٩١٦ .
٤ - محمود مرزوق : عصر سلاطين المماليك . ج ١ ، ٢ - القاهرة ١٩٤٧ .
٥ - السخاوي : الضوء اللامع . ج ٦ - باب الخلق ١٣٥٤ .
٦ - على باشا مبارك : الخطط التوفيقية . ج ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ - بولاق ١٣٠٥
٧ - المقريزي : الخطط - بولاق ١٢٧٠ .
٨ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد - القاهرة ١٩٤٦ .
٩ - جلال الدين السيوطي : حسن المحاضرة - القاهرة ١٣٢٧ .
١٠ - ابو البقاء ابن الجيعان : القول المستظرف في سفر مولانا الاشرف.

المراجع الاجنبية

1- S. Lane Poole: History of Egypt - London, 1901.

2- K.A.C. Creswell: Brief chronology in Bulletin de l'Institut d'Archeologie au Caire, t XVI - Cairo 1919.

3- Corpus Inscriptionum Arabicarum lere partie: Egypte par M. Van Berchem.

4- Comptes rendus du Comite de Conservation des mouvements de l'Art Arabe 1891, 1894, 1897, 1908.

5- Journal of the Royal Asiatic Society- 1903.

6- Mrs. R.L. Devoushire: Moslem Builders of Cairo - Cairo 1943, Rambles in Cairo - London, 1920.

7- M.S. Briggs: Mohamedan Architecture - Oxford, 1924.

8- W. Munir: The Mamelouke or Slave Dynasty of Egypt - London, 1896.

9- K. Hitti: History of the Arabs - London, 1937.

10- The Encyclopedia of Islam, Vol. 2 - London, 1927.

11- H. Saladin: Manual d'Art Musulman - Paris, 1907.

12- The Building of Qaytbay as described in his Endowment Deed - edited by L.A. Mayer - London, 1933.

13- G. Wiet et Hautcuer: Les Mosquees du Caire - Paris, 1932.

14- **Prise** d'Avennes: L'Art Arabe - Paris, 1877.

15- **A. Gayet:** L'Art Arabe - Paris, 1893.

16- **P. Coste:** Architecture Arabe au Monument du Caire - Paris, 1889.

17- **G. Bourgoin:** Precis de l'Art Arabe - Paris, 1892.

18- **G. Migeon:** Manuel d'Art Musulman, Vol. 2 - Paris, 1927.

19- **Frans Pasha:** Die Grabmoschee des Sultan Kait Bay, in Die Baukunst (Part III).

20- **Herz-Bey, Max,** Catalogue Raisonne Le Caire, 1906.

21- **Mehren, M.A.F.** in Melunges Asiatiques, t VI, 1869.

** **

فهـــرس اللوحـــــات

لوحـــه ٩ : قبـــة يشبك بن مهـــدى

منظـــر عـام

لوحه ١٠ : جامـــع الازهـــر

مئذنـــة وباب قايتباى

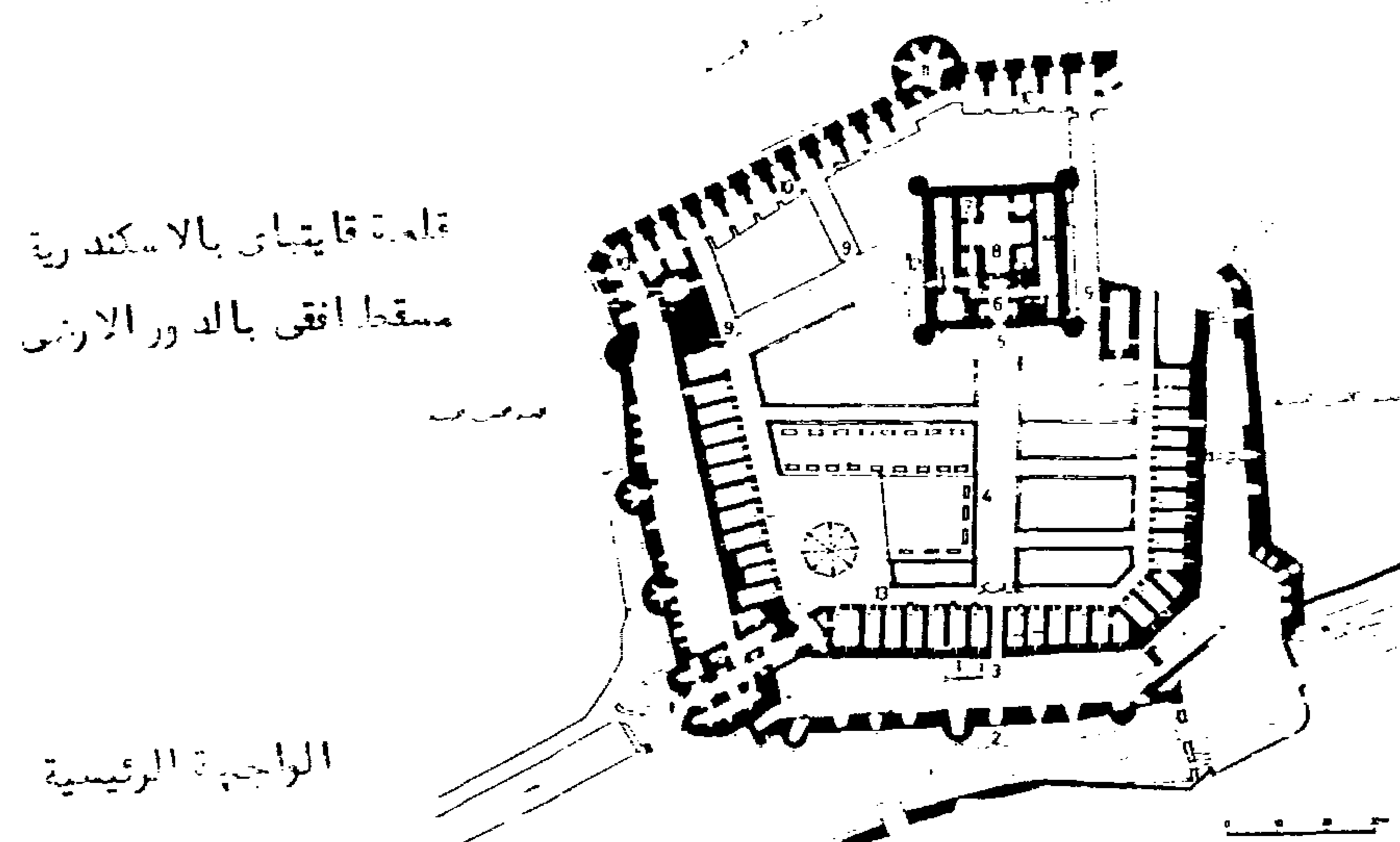
لوحه ١١ : الامـــام الشافعـــى

القبـــة من الداخـــل والخـــارج

لوحه ١٢ : خانقاه فرج بن برقـــوق

منبر قايتباى ــ تفاصيل المنبـــر ٠

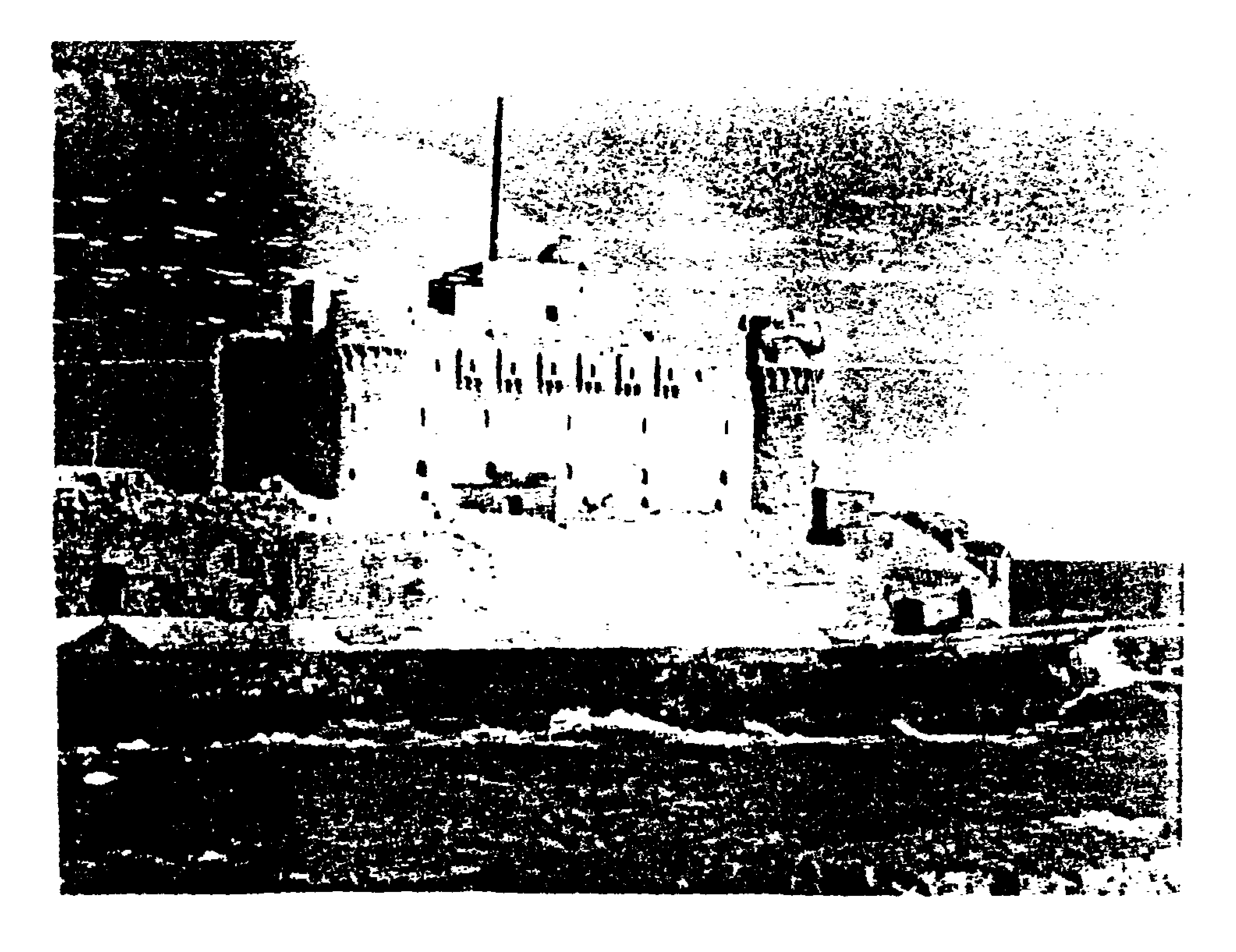
لوحة ١



قلعة قايتباي بالاسكندرية
مسقط افقي بالدور الارضي

الواجهة الرئيسية

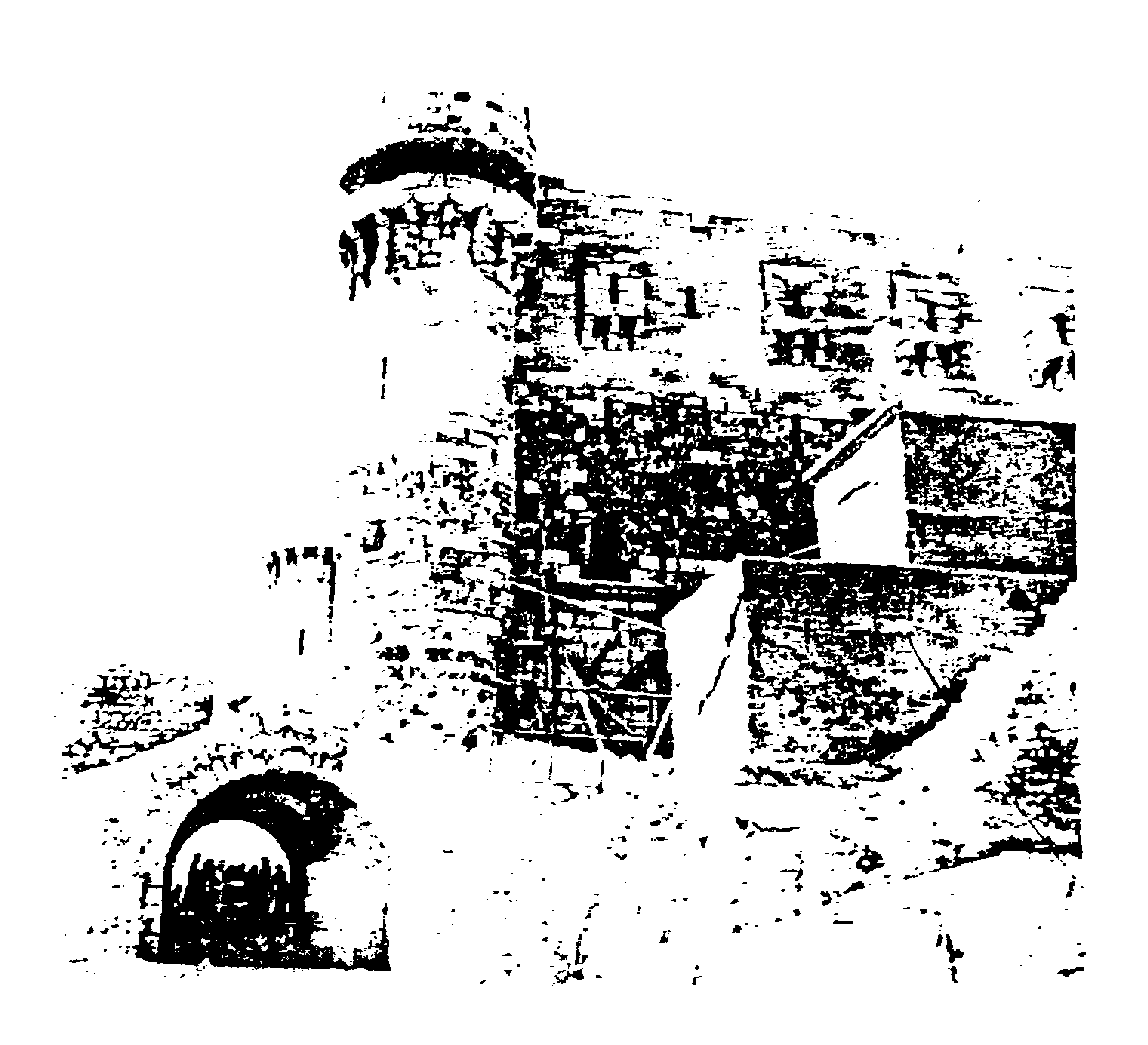
(٤٠)



قلعة قايتباى بالاسكندرية

منظر عام من الجهة الشرقية

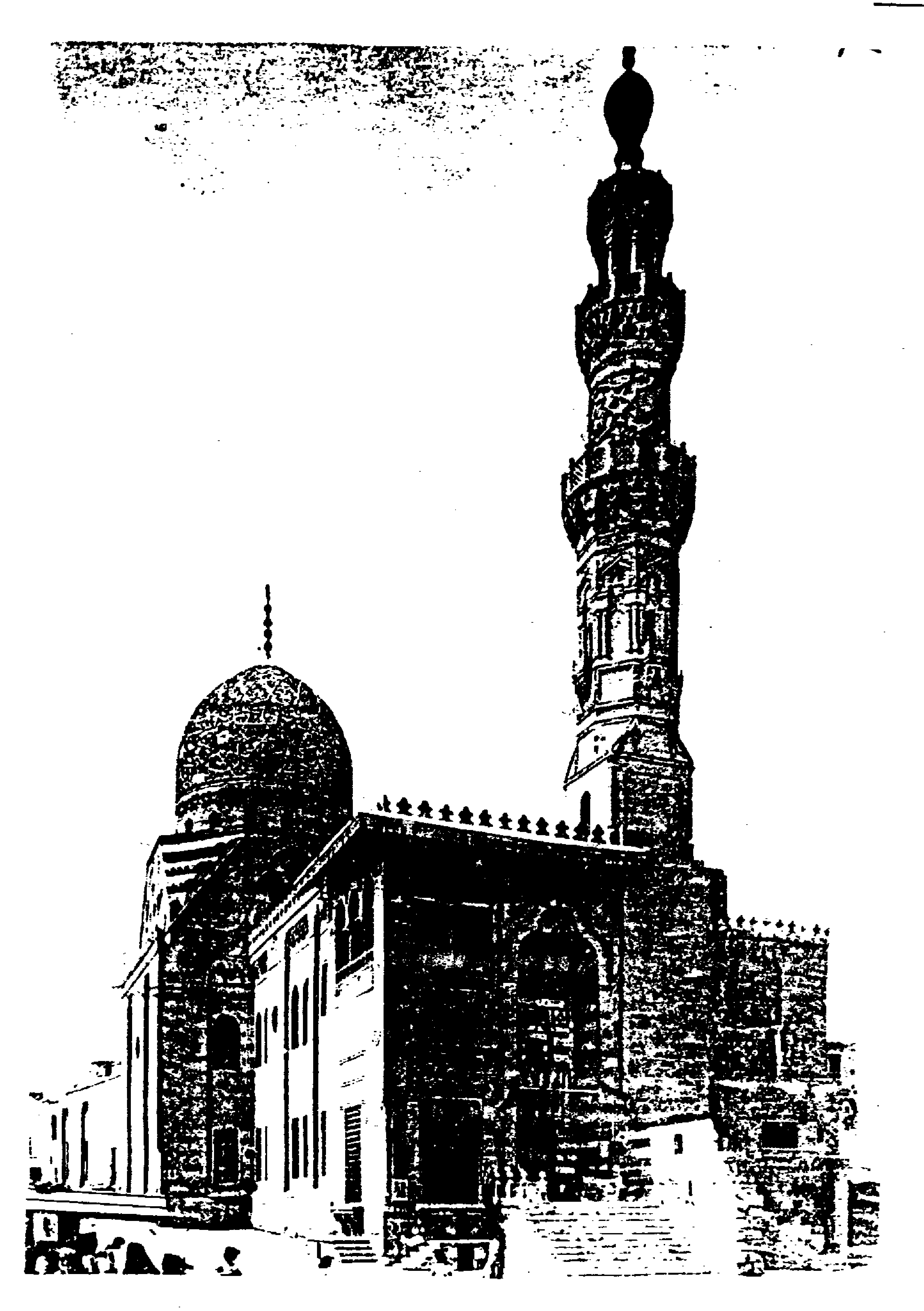
لوحة ١



قلعة قايتباي بالاسكندرية

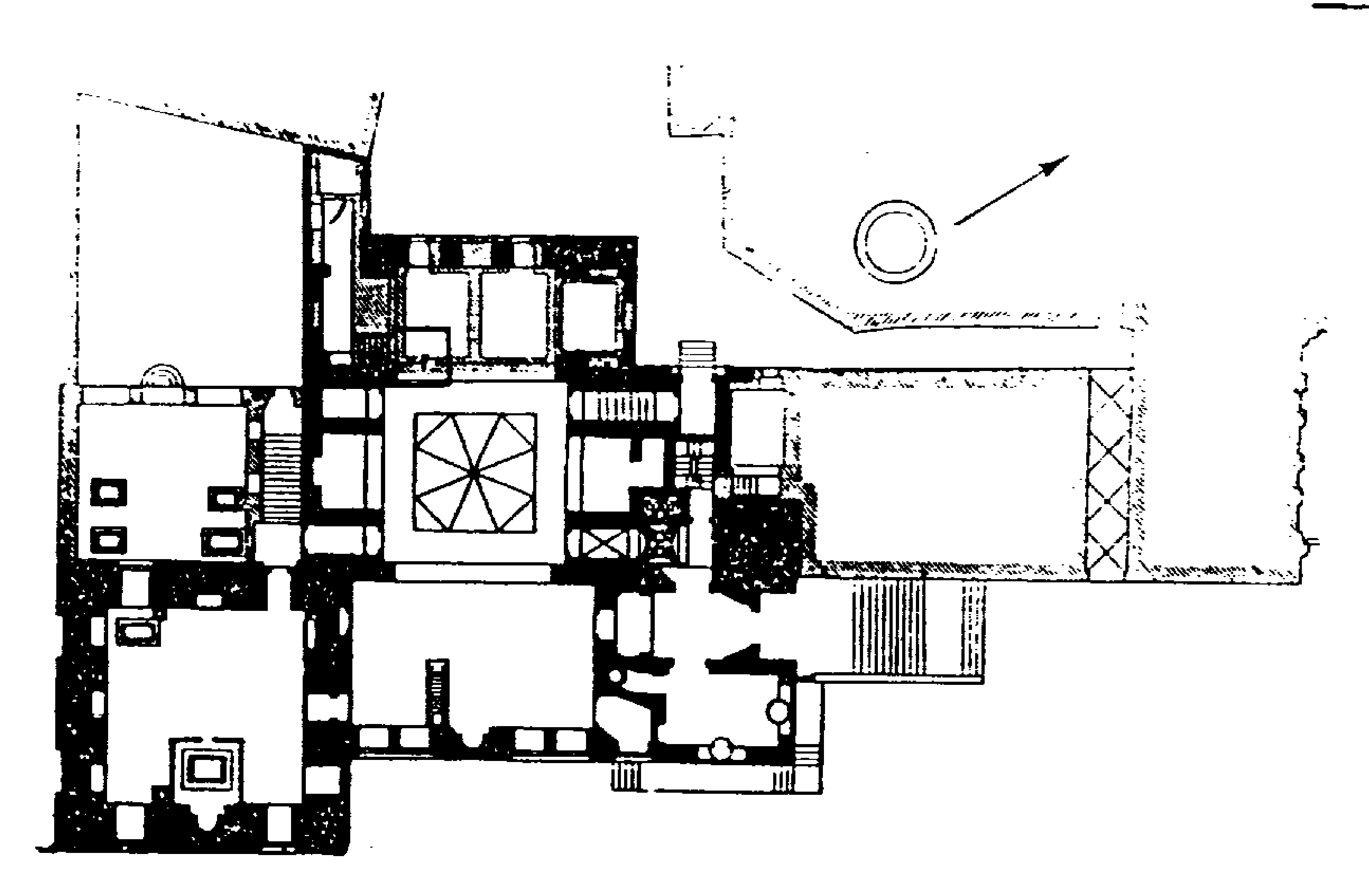
الواجهة المطلة على البحر

وجه ٢

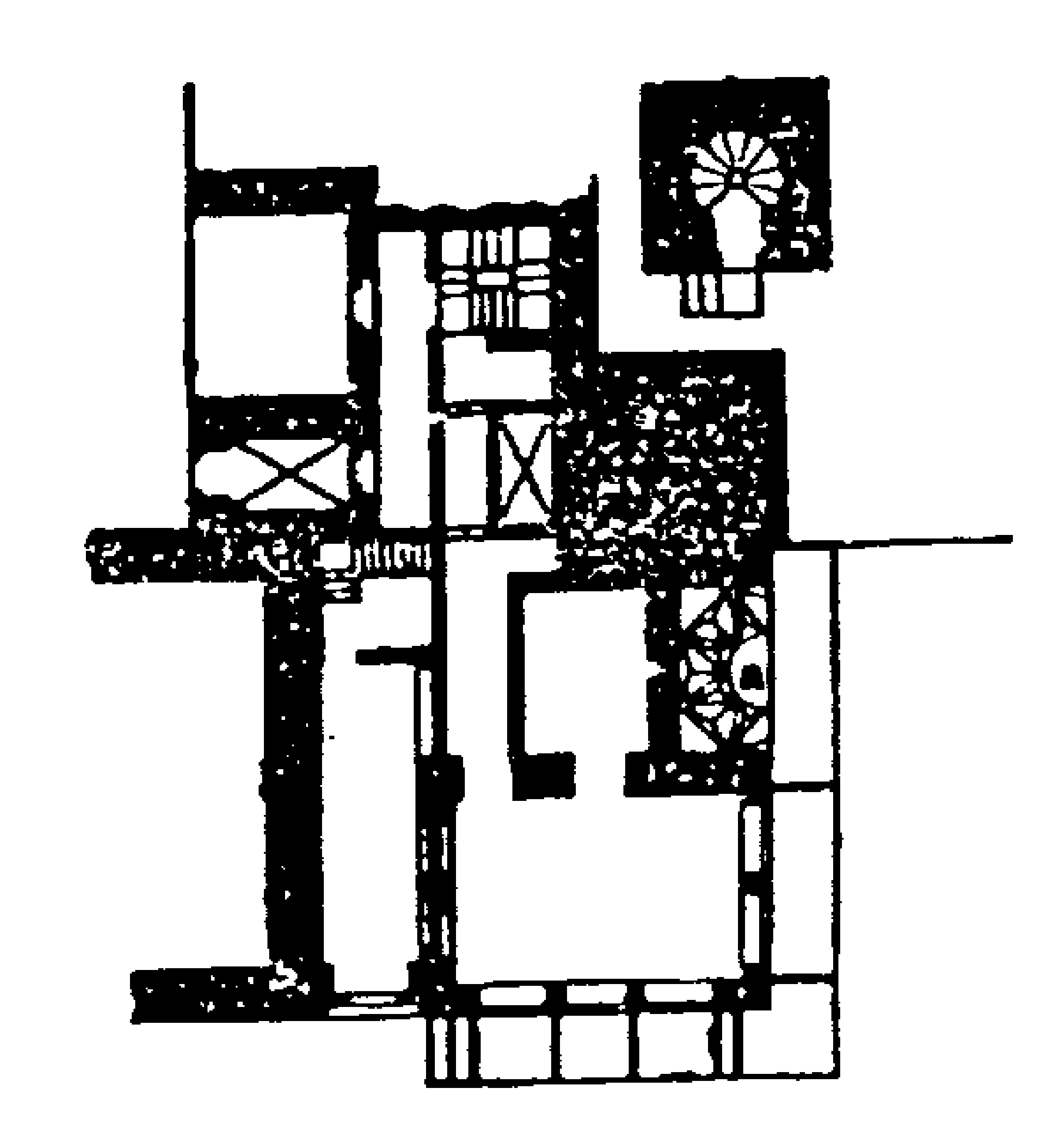


مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية

لوحـه ٢

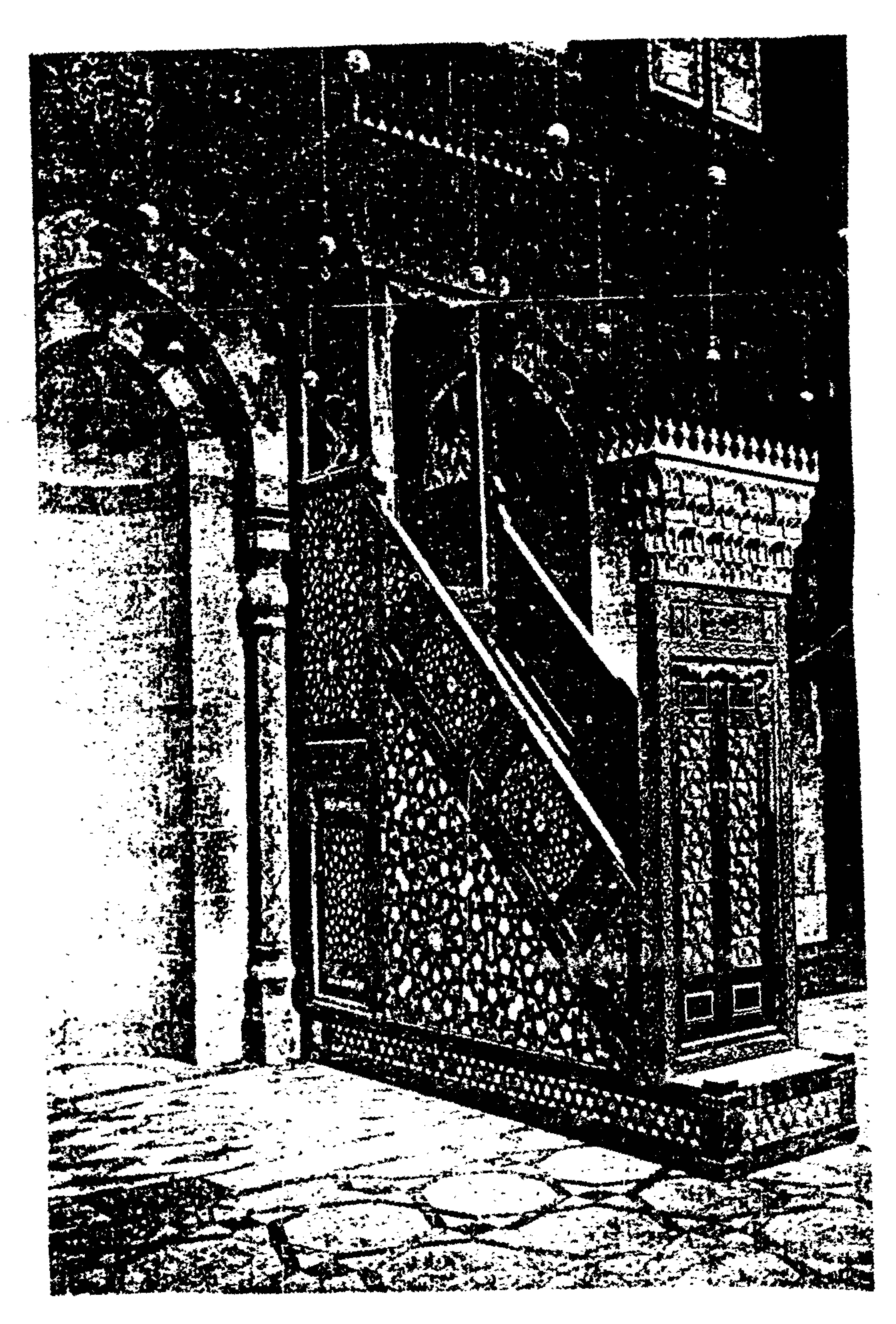


مسقط افقى للطابق الاول



مسقط افقى للطابق الثانى

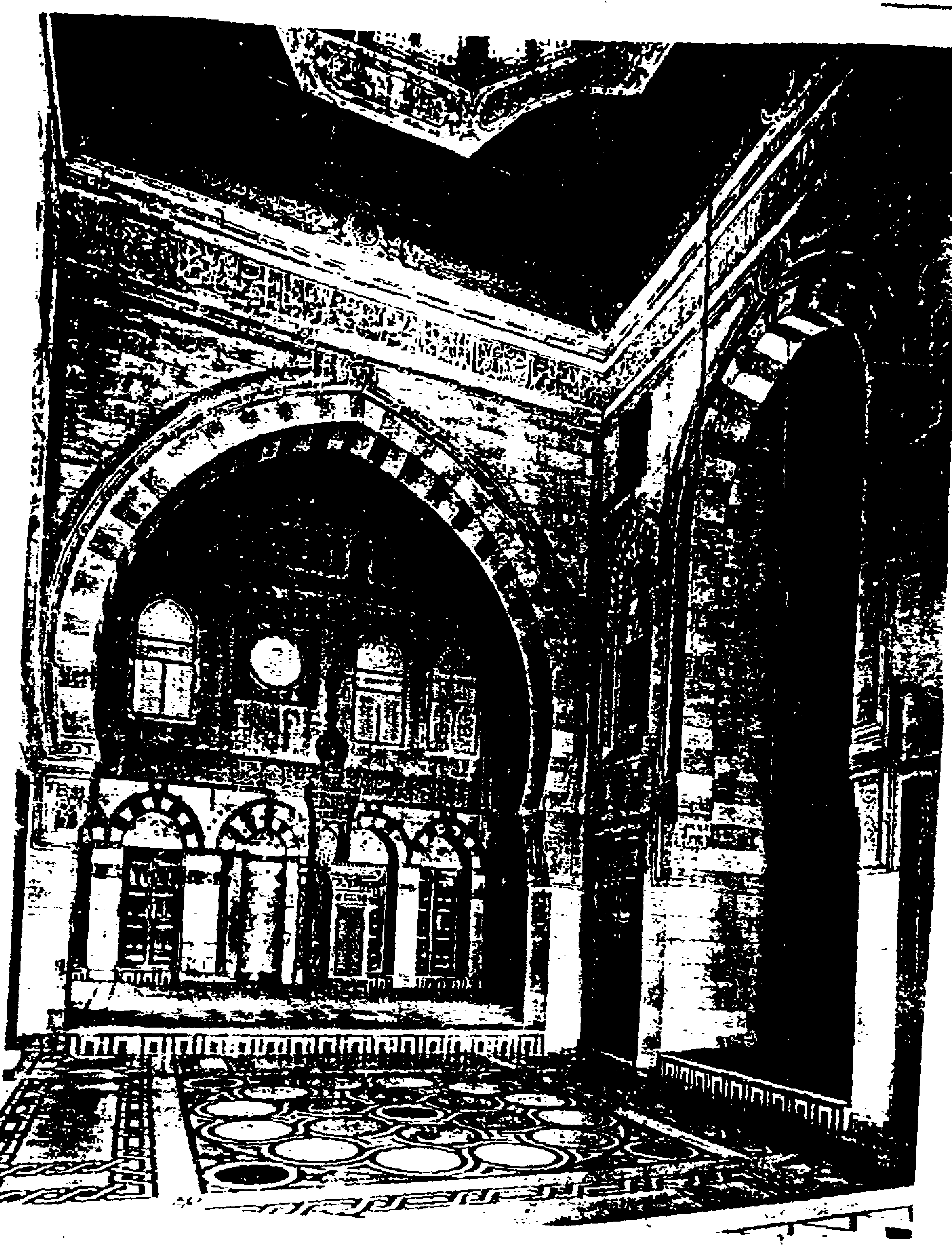
لوحـه ٢



مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية

المنبـر والمحـراب

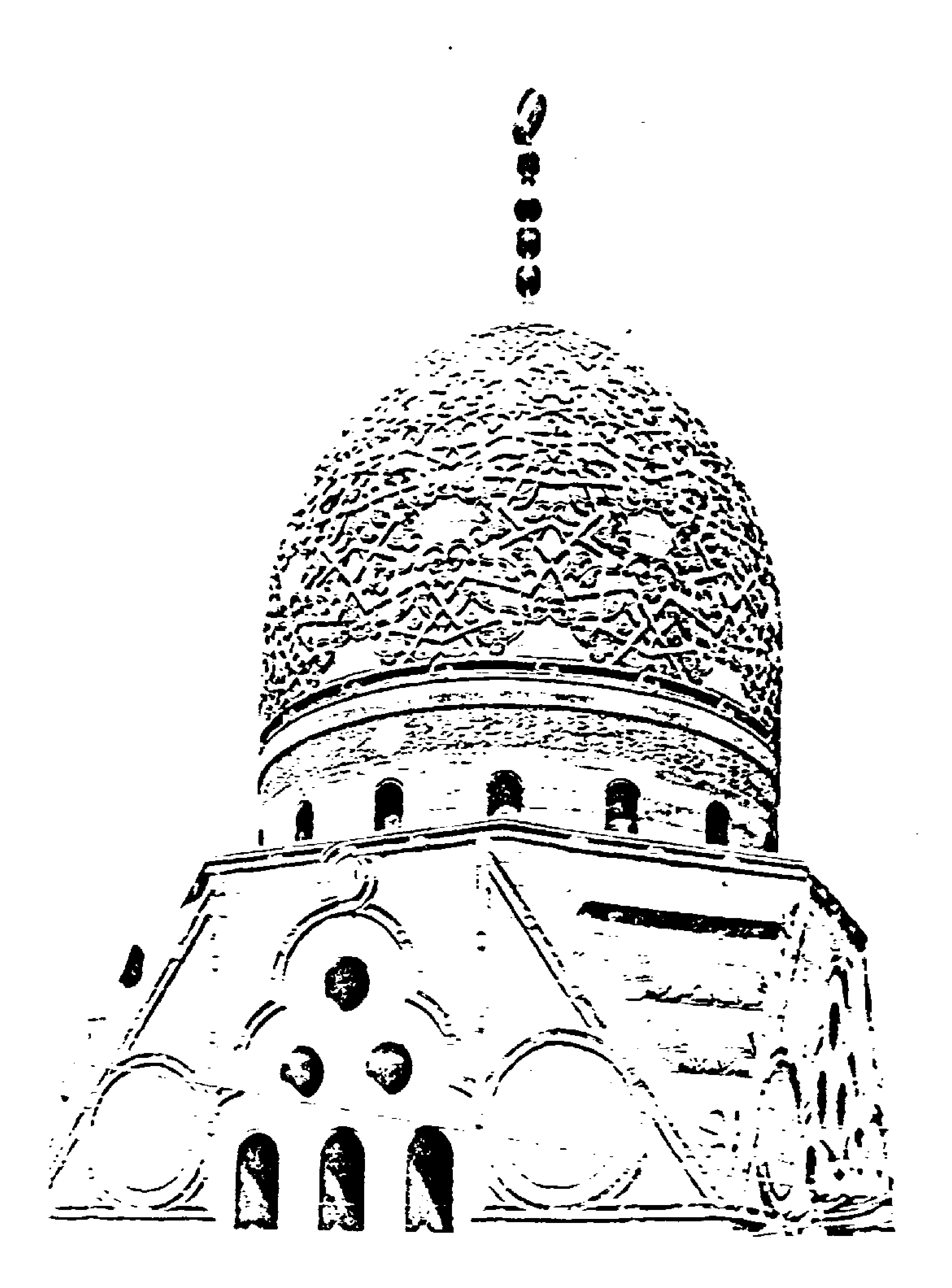
لوحـه ٢



مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية

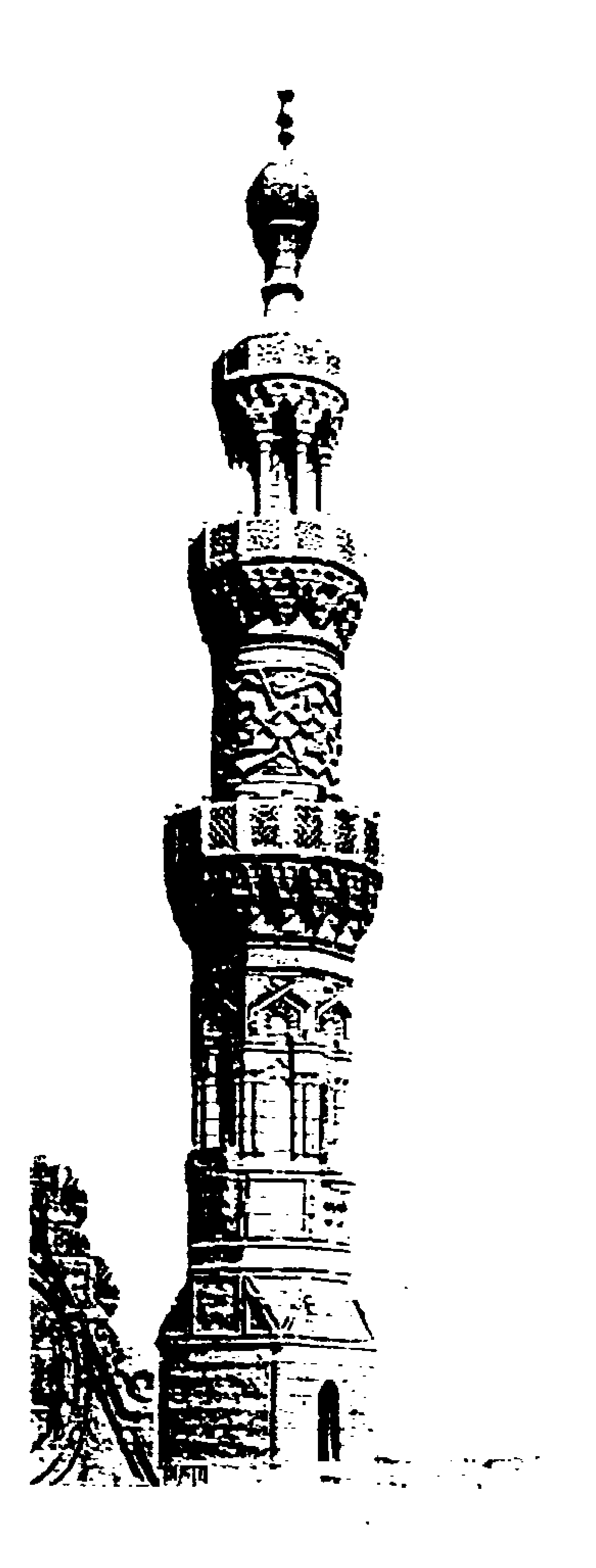
الصحن والايوانـات

لوحـــه ٢



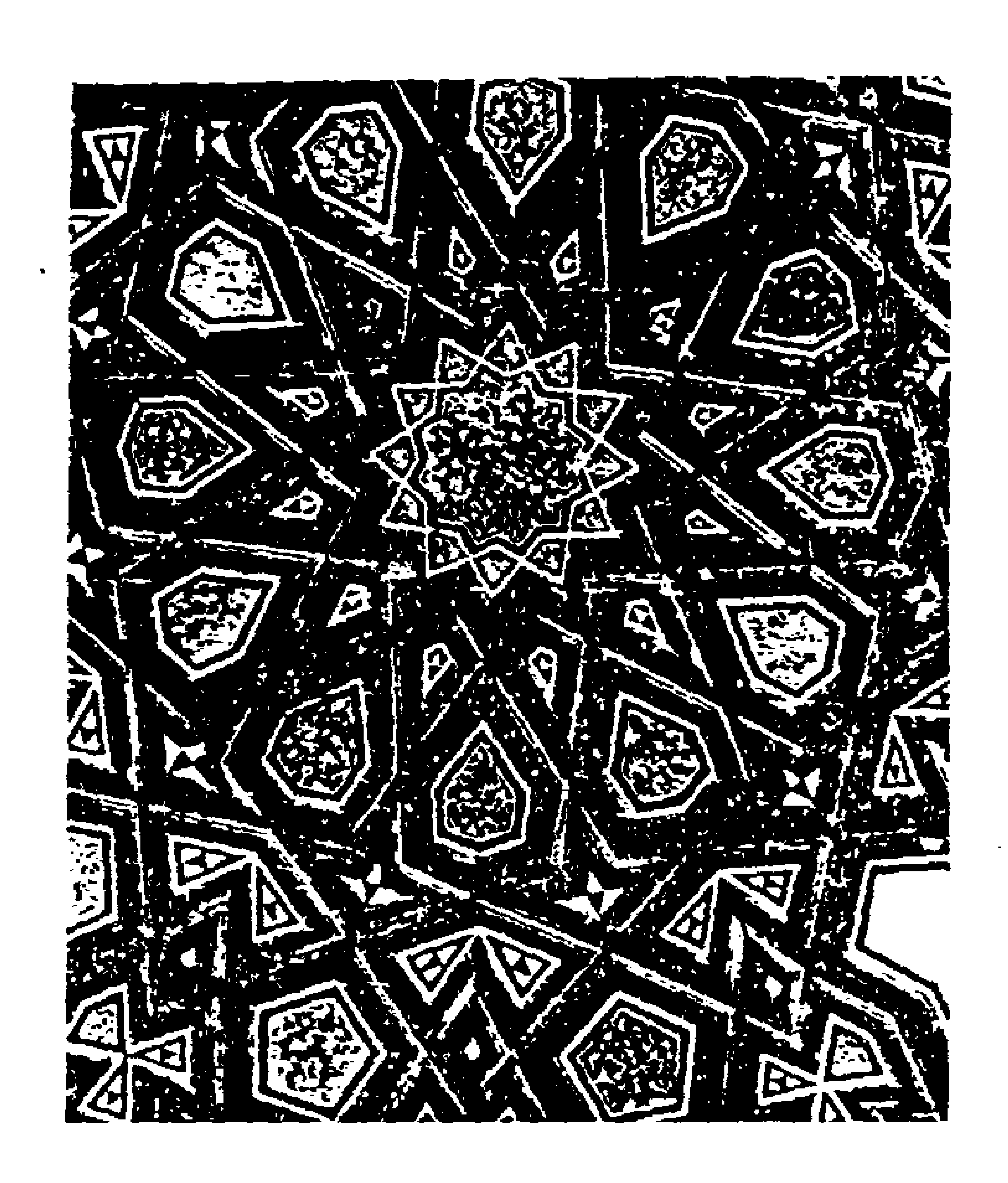
مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية ـ القبـــة

لوحه ٢



مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية ــ المئذنـة

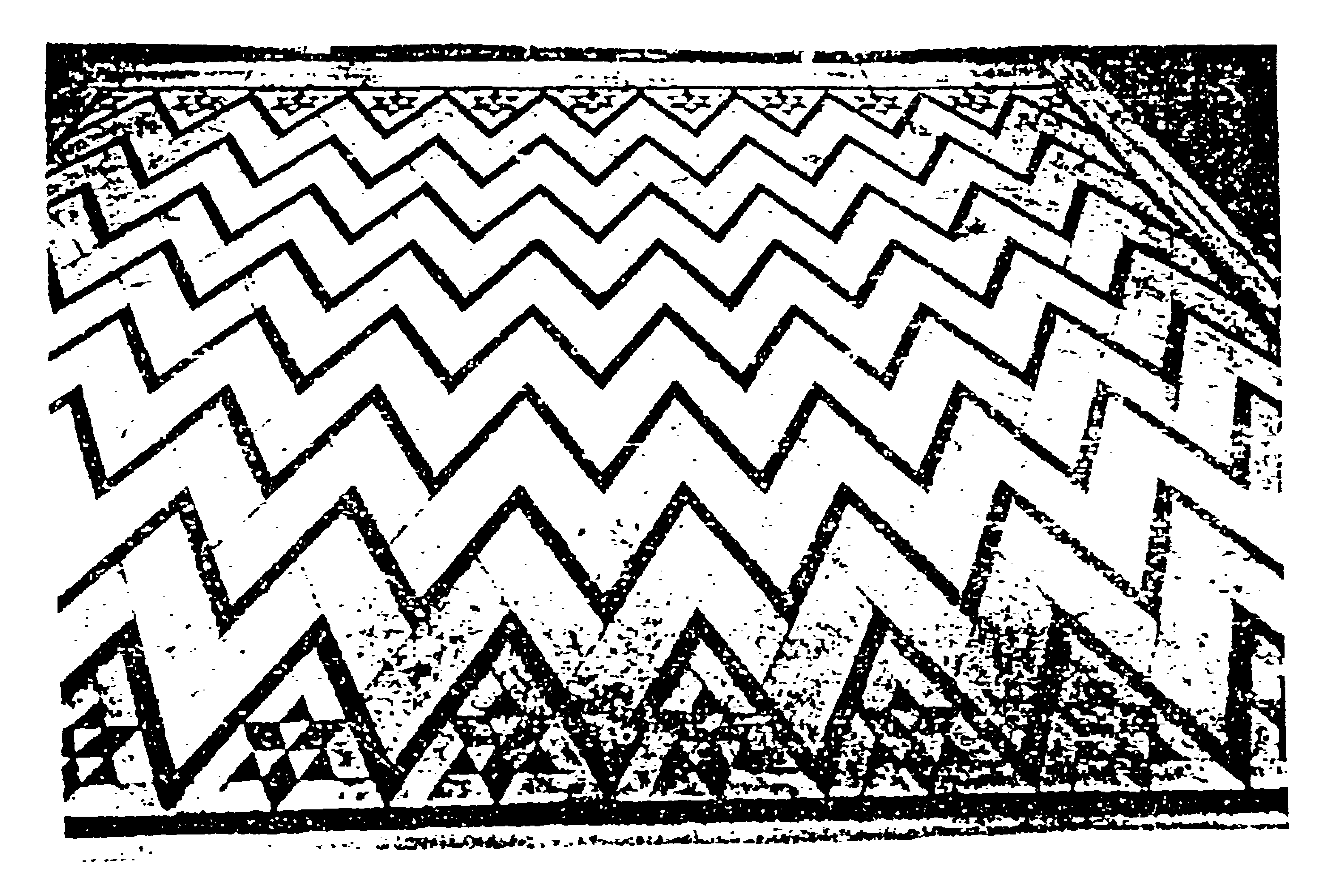
لوحـه ٢



مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقيـــــــة

تفصيلـة من المنبـــــــر

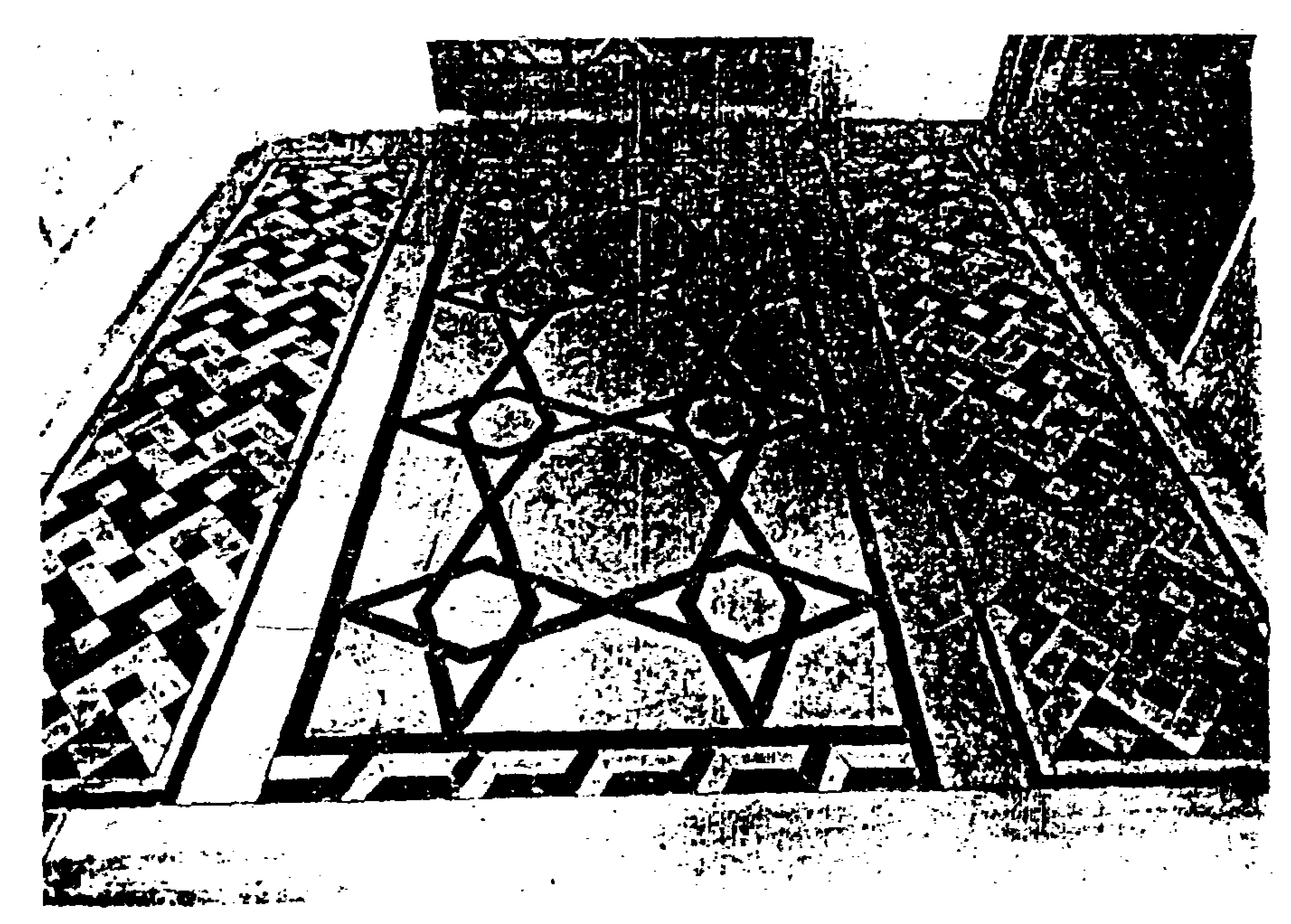
لوحـه ٢



مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقيـة

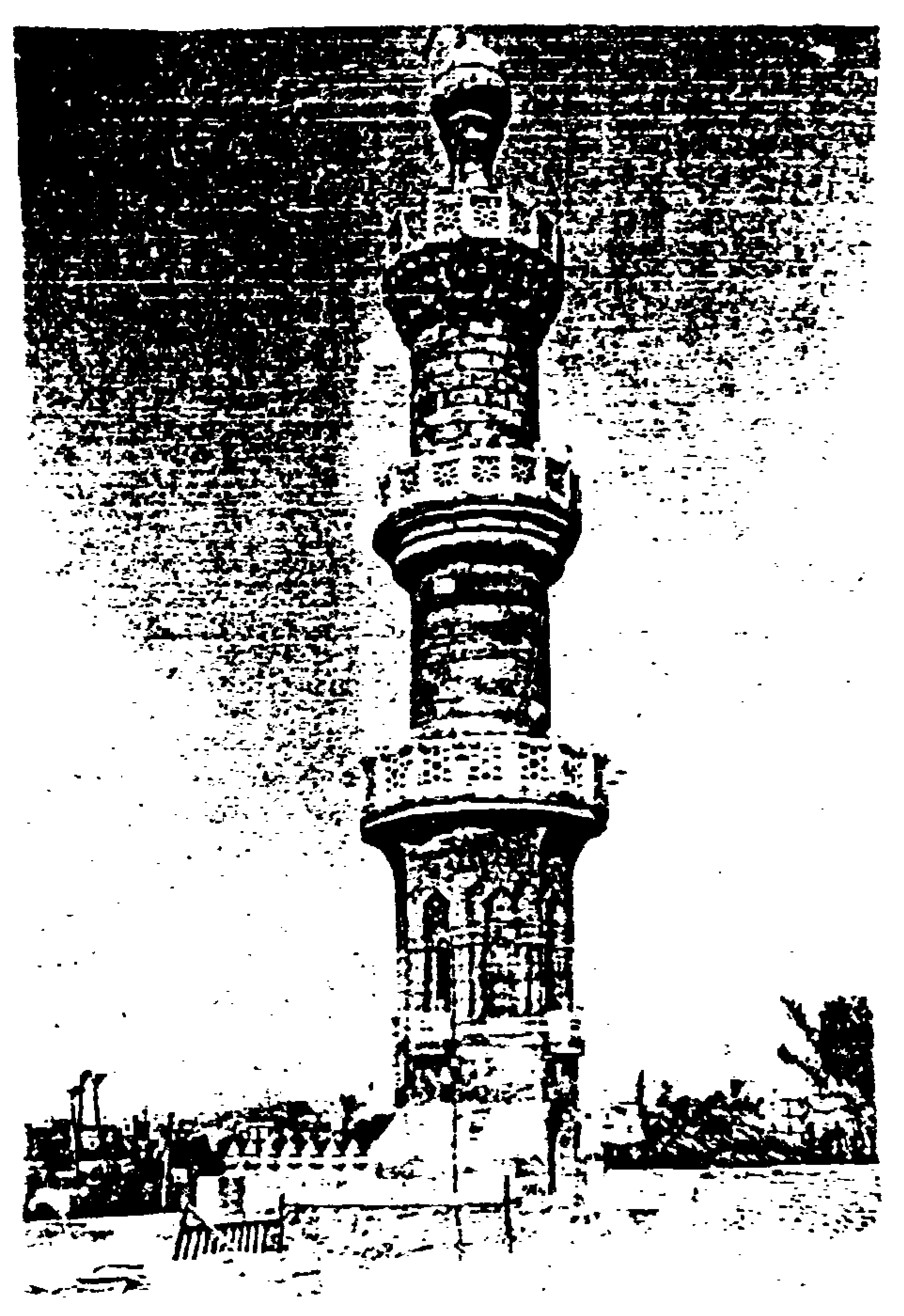
ارضية رخامية بالايوان القبلـــى

لوحـه ٢



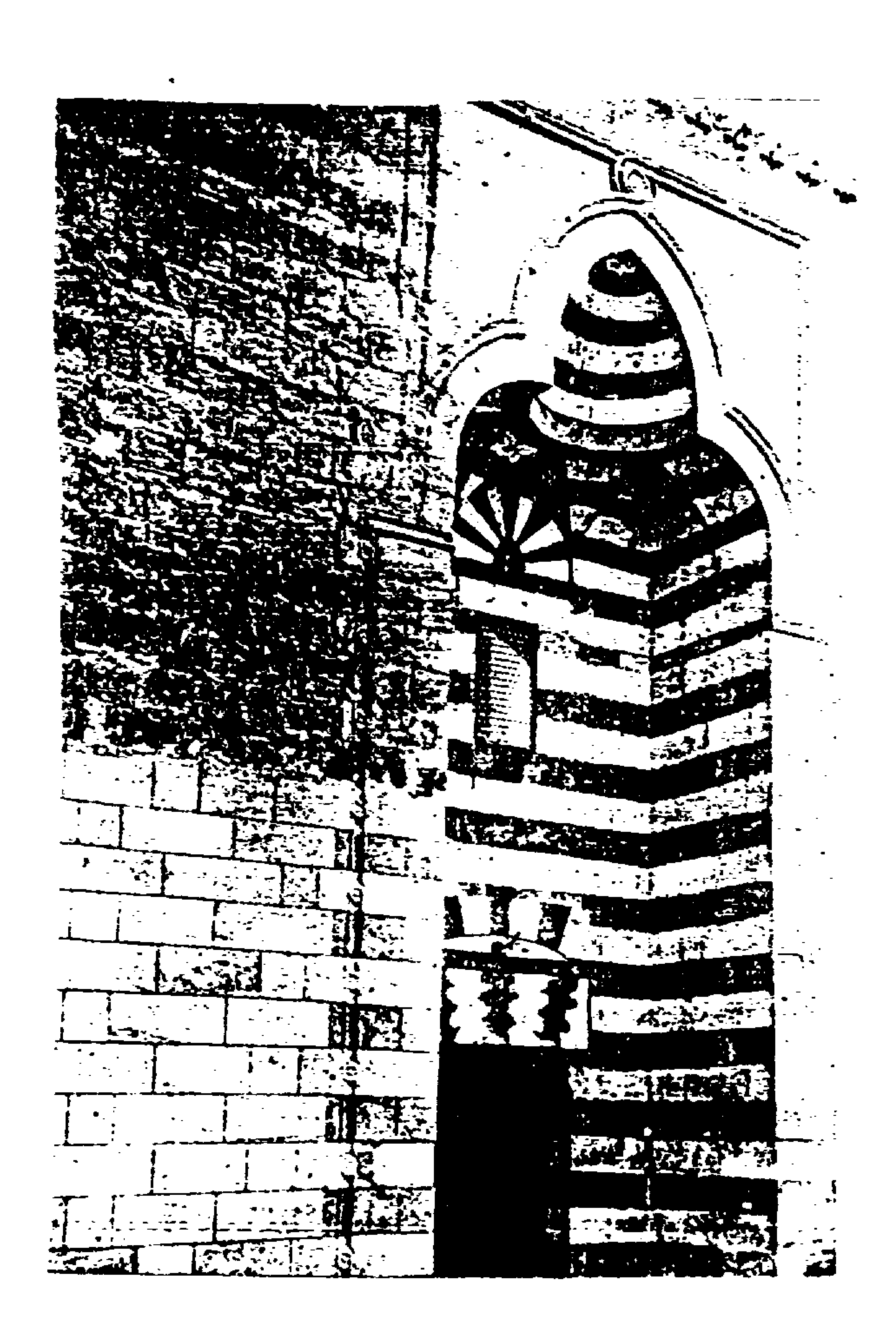
مدرسة قايتباى بالقرافـة الشرقيـــة
ارضية رخامية بالايوان الغربـــى

لوحـه ٣



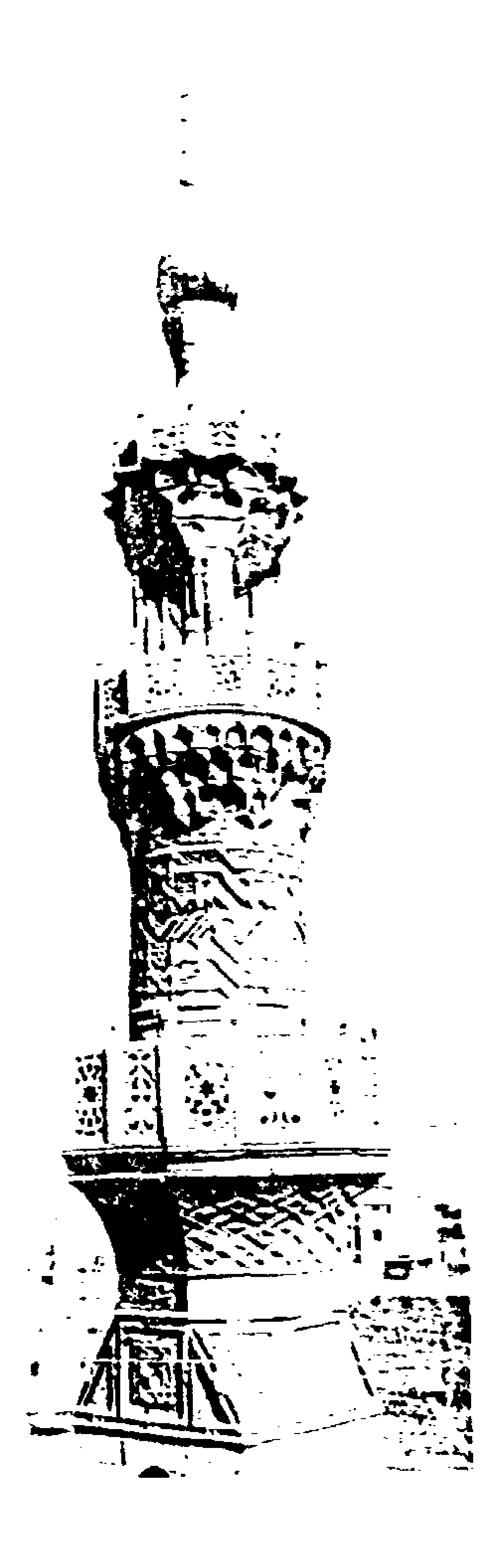
مسجد قايتباى بالروضة ــ المئذنـة

لوحـه ٣



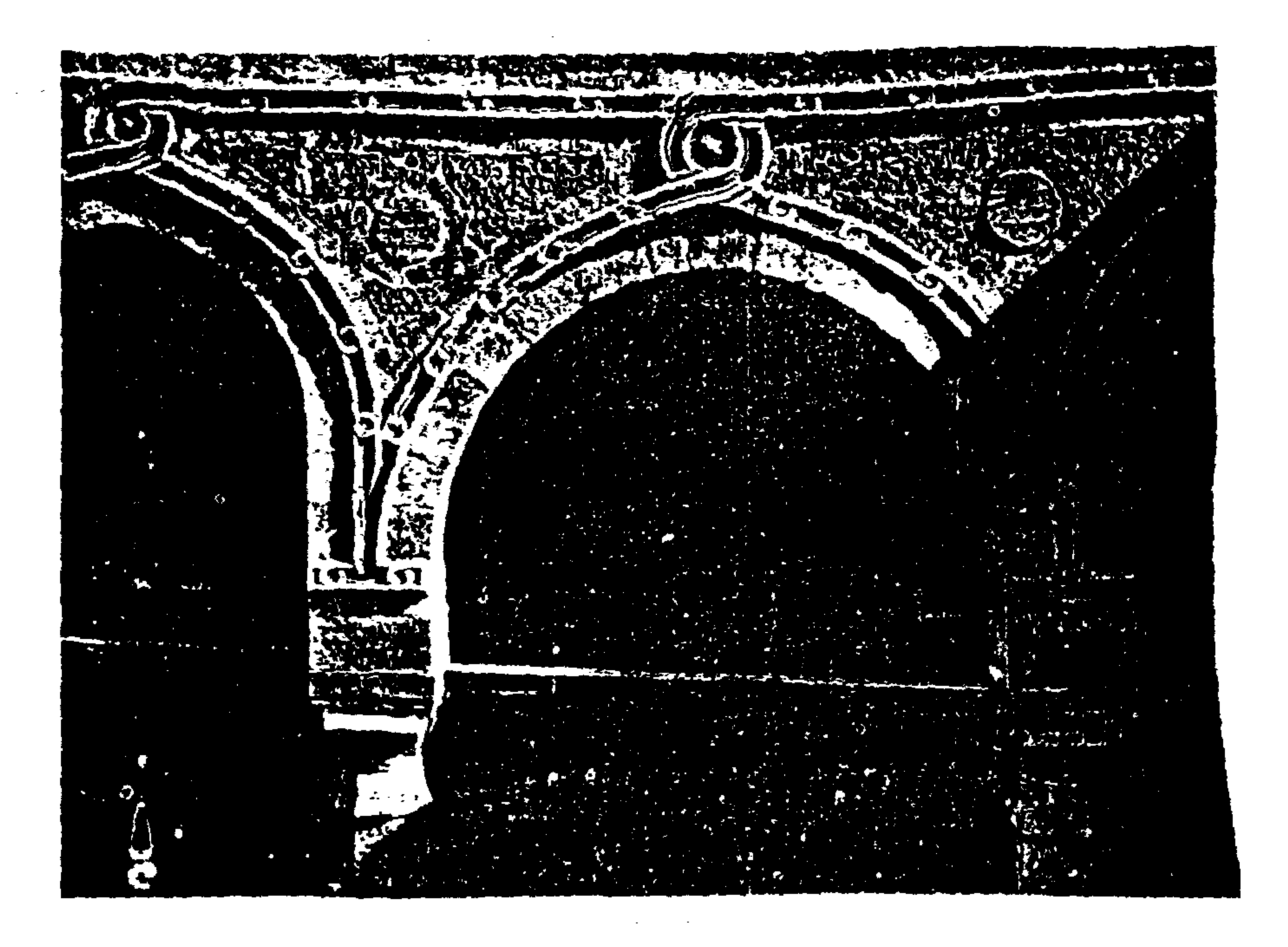
مسجد قايتباى بالروضة ـ واجهة المدخل

لوحة ٤



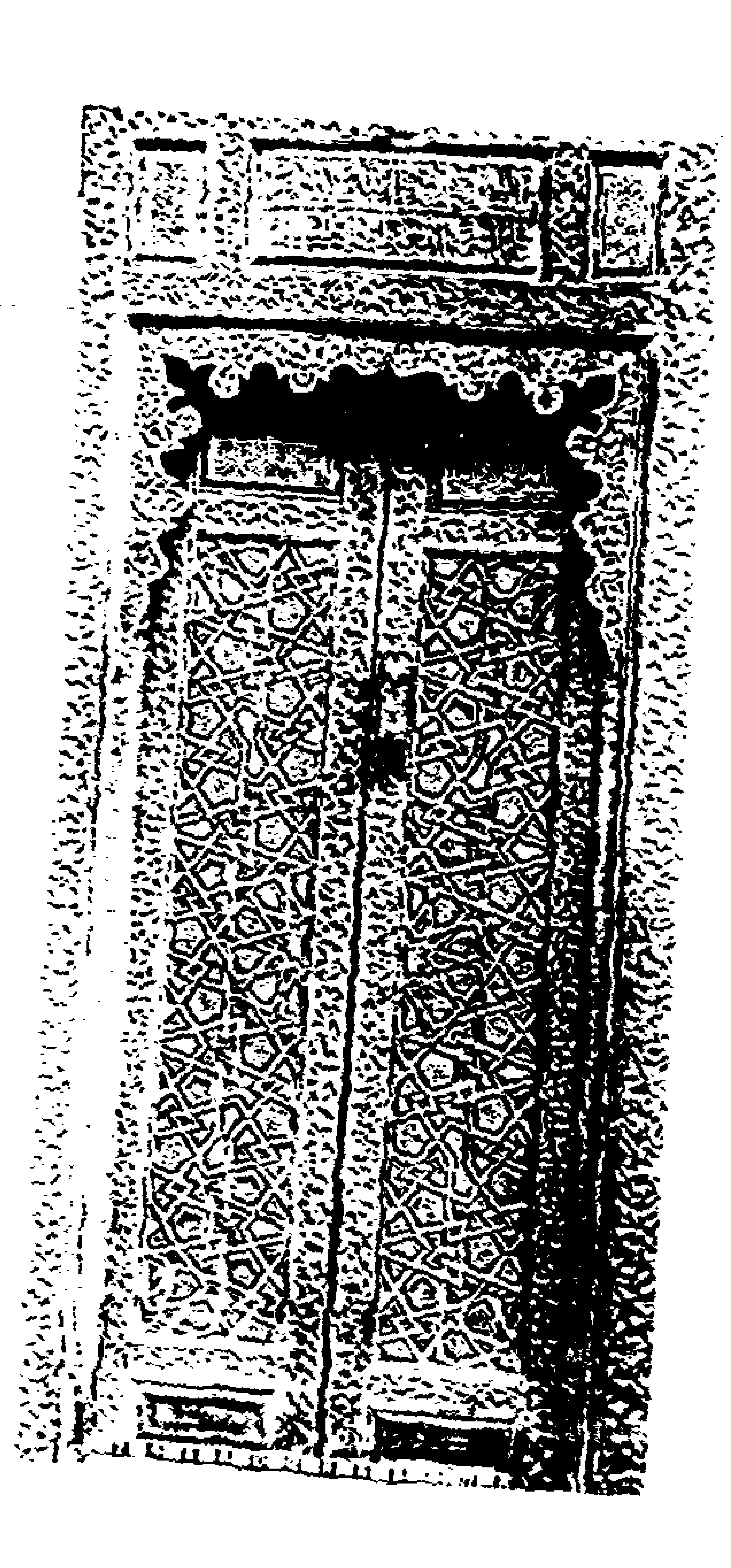
مدرسة قايتباى بقلعة الكبش ــ المئذنــــة

لوحة ٥



مسجد سلطان شاه ـ عقود الصحن

لوحه ٥



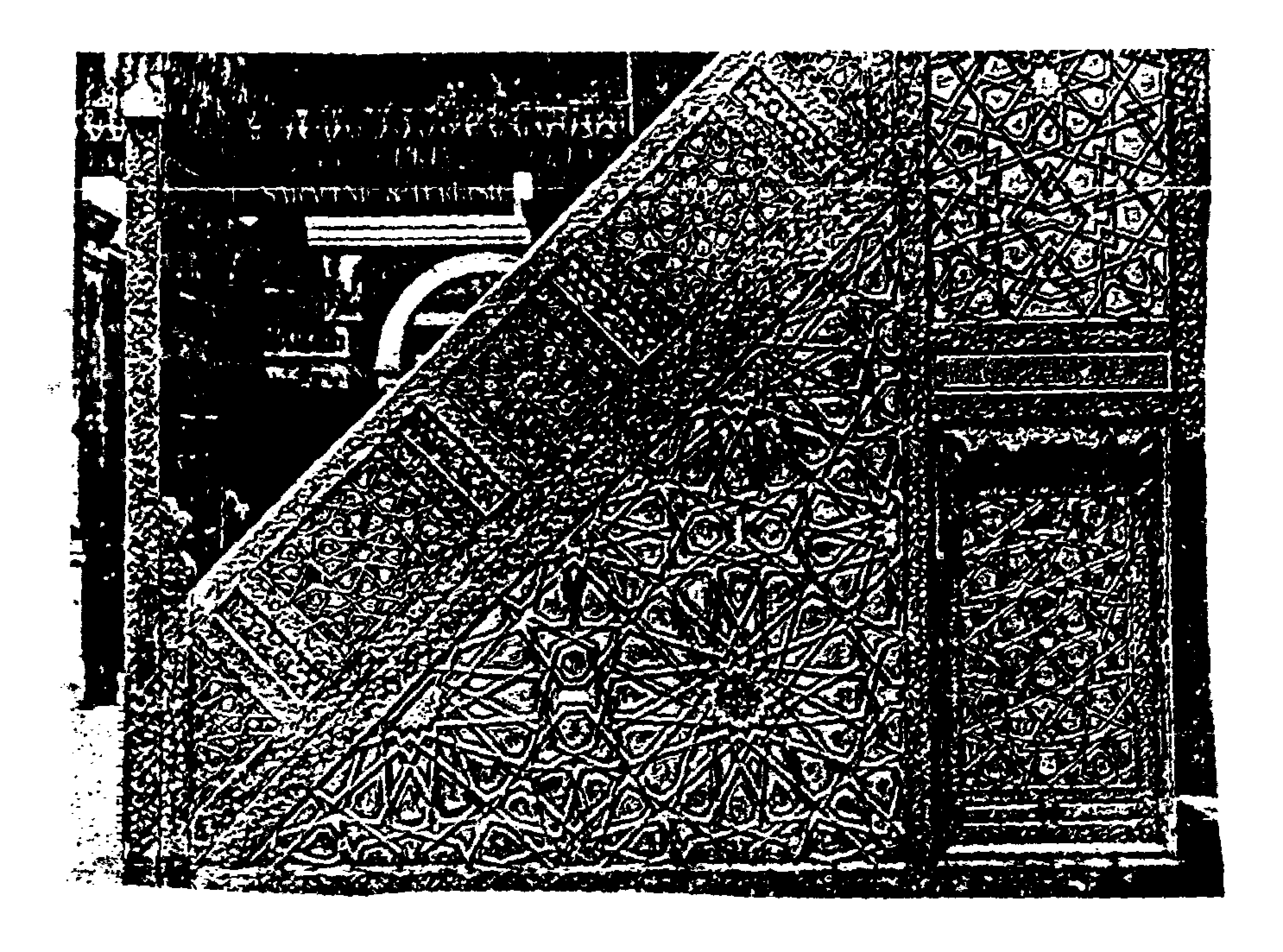
مسجد سلطان شاه ــ باب المنبر

لوحــه ٥



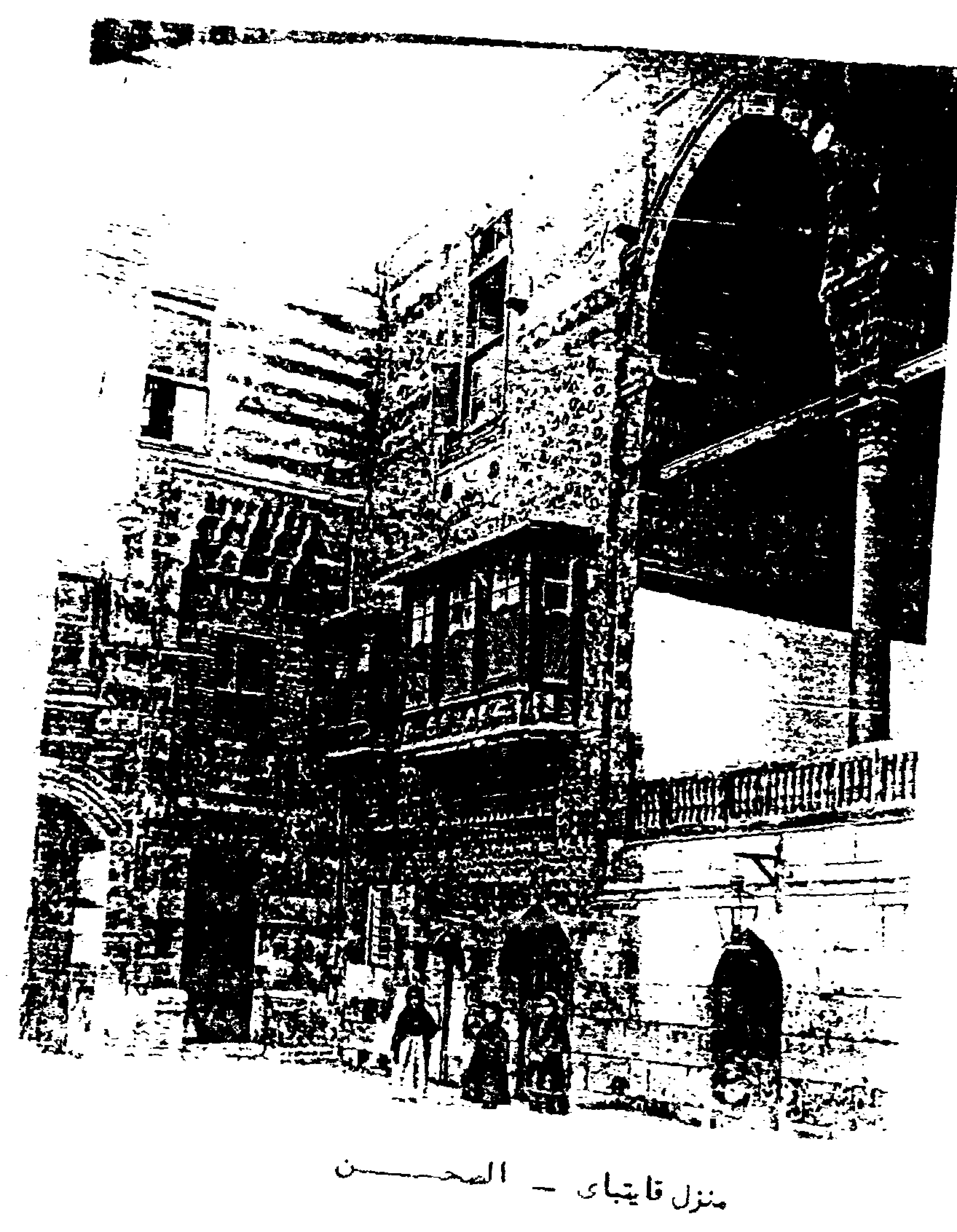
مسجد سلطان شاه ــ الايوان الشرقى

لوحه ٥



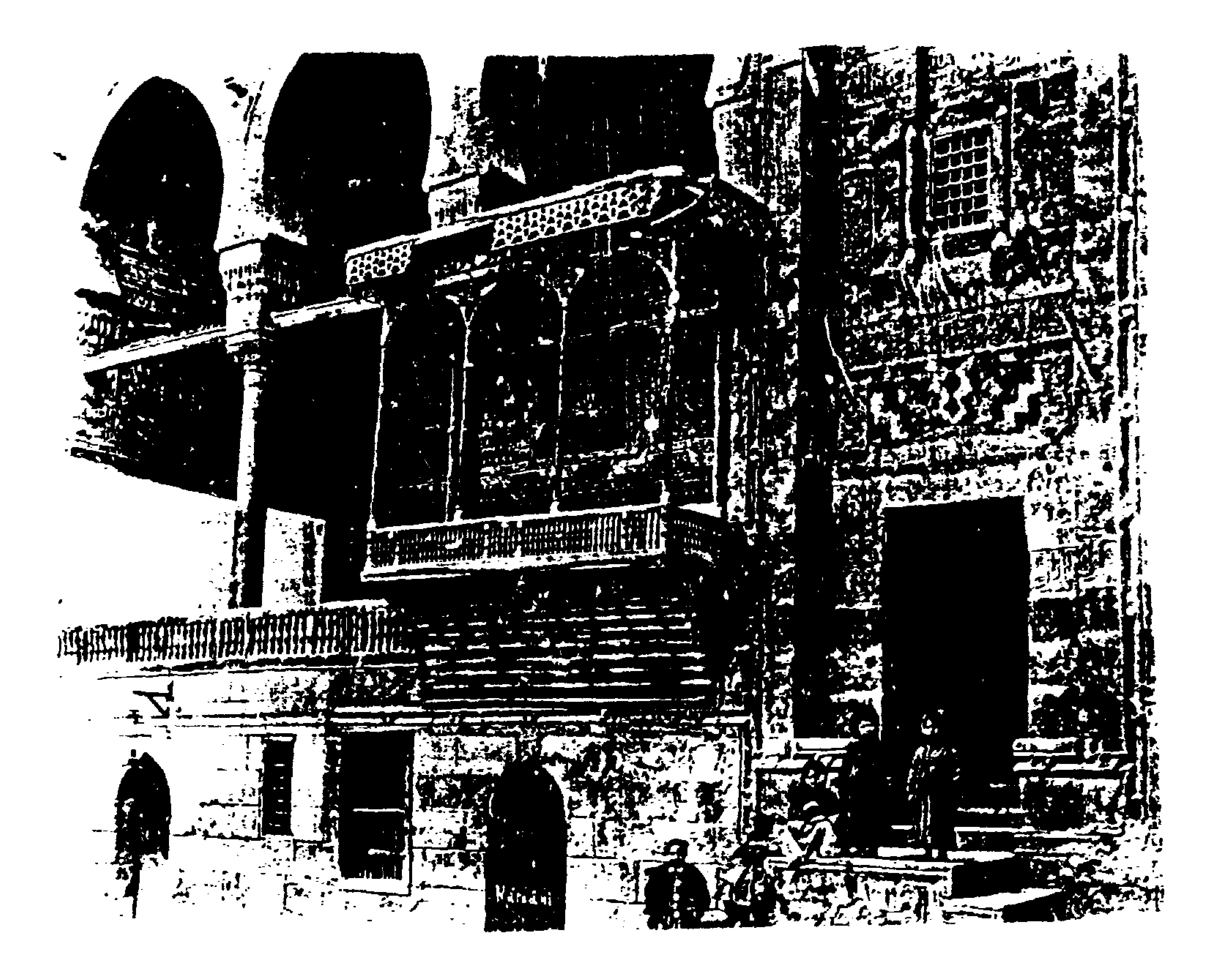
مسجد سلطان شاه ـ المنبـــر

لوحـه ٦



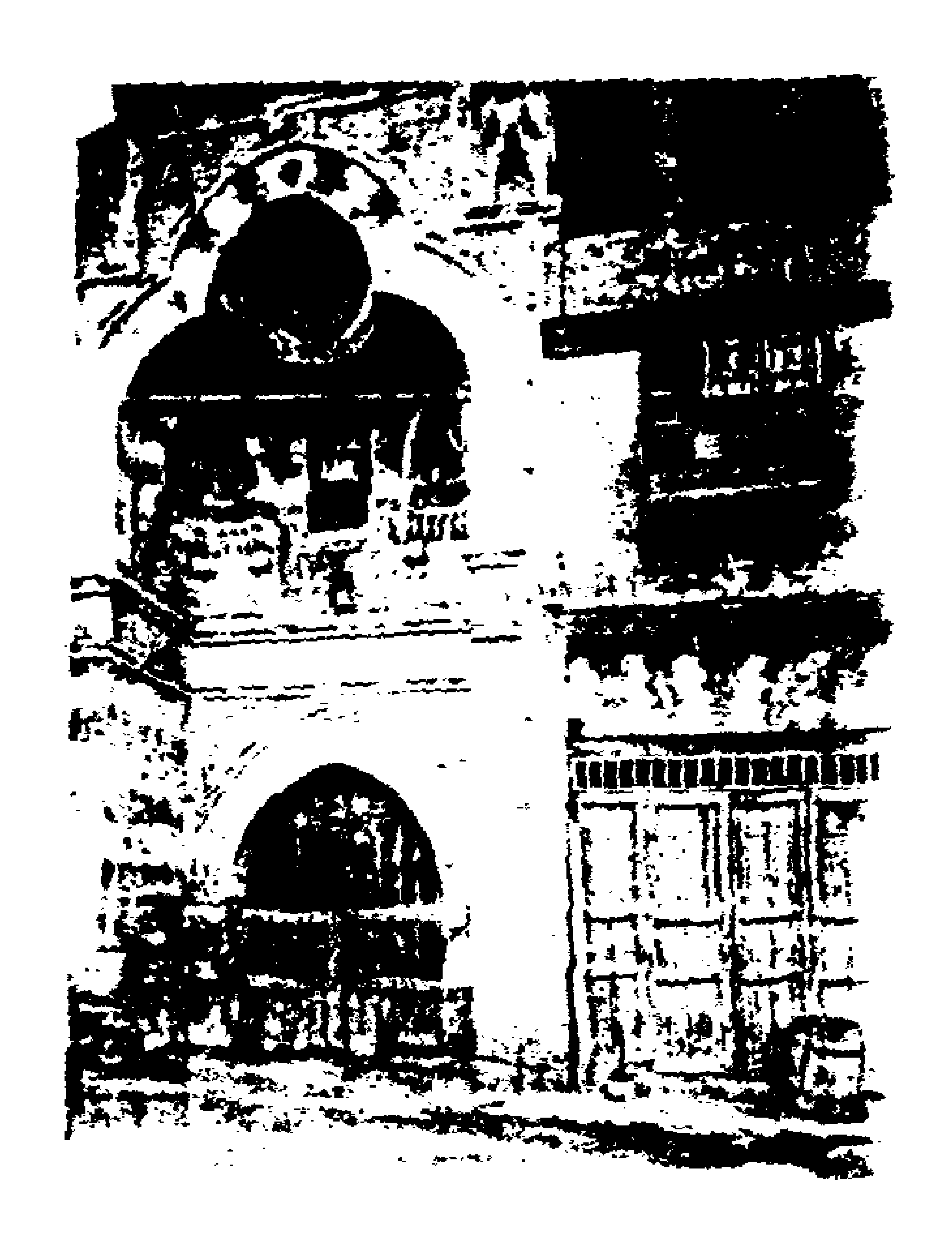
منزل قايتباى — الصحـــن

لوحه ٦



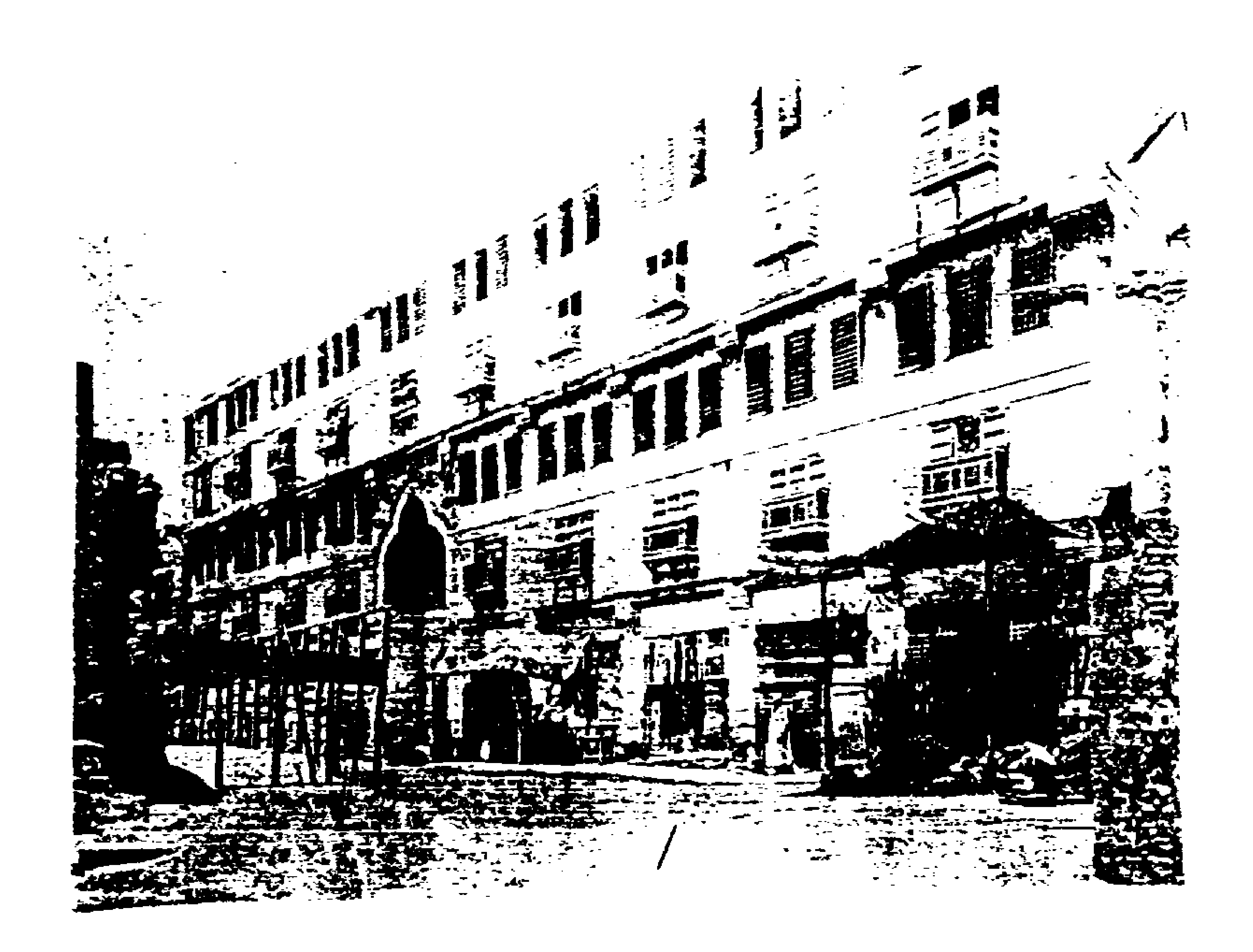
منزل قايتباى — الواجهــة الشماليــــة

لوحـه ٧



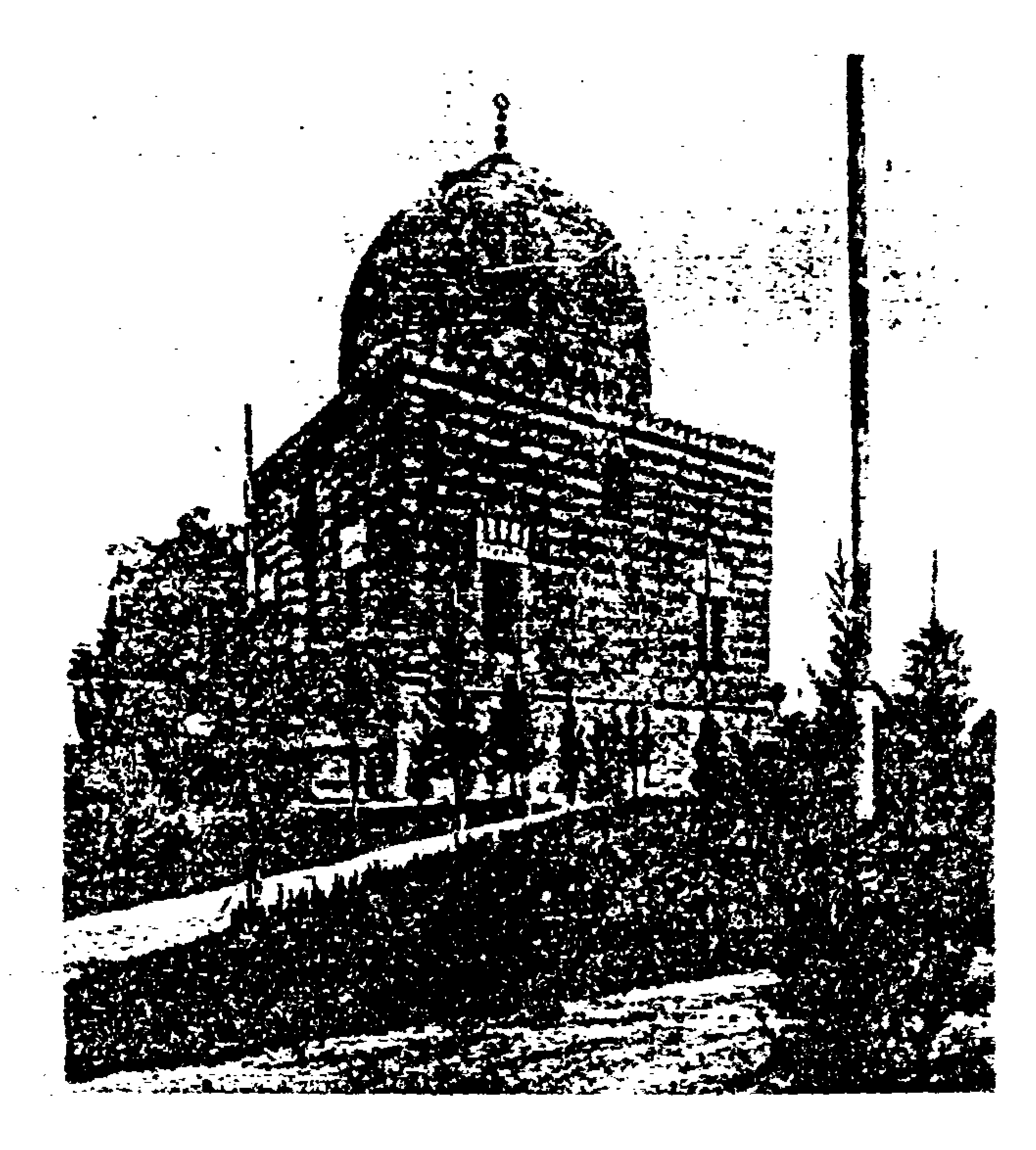
وكالة قايتباى بباب النصر ــ المدخـــل

لوحه ٧



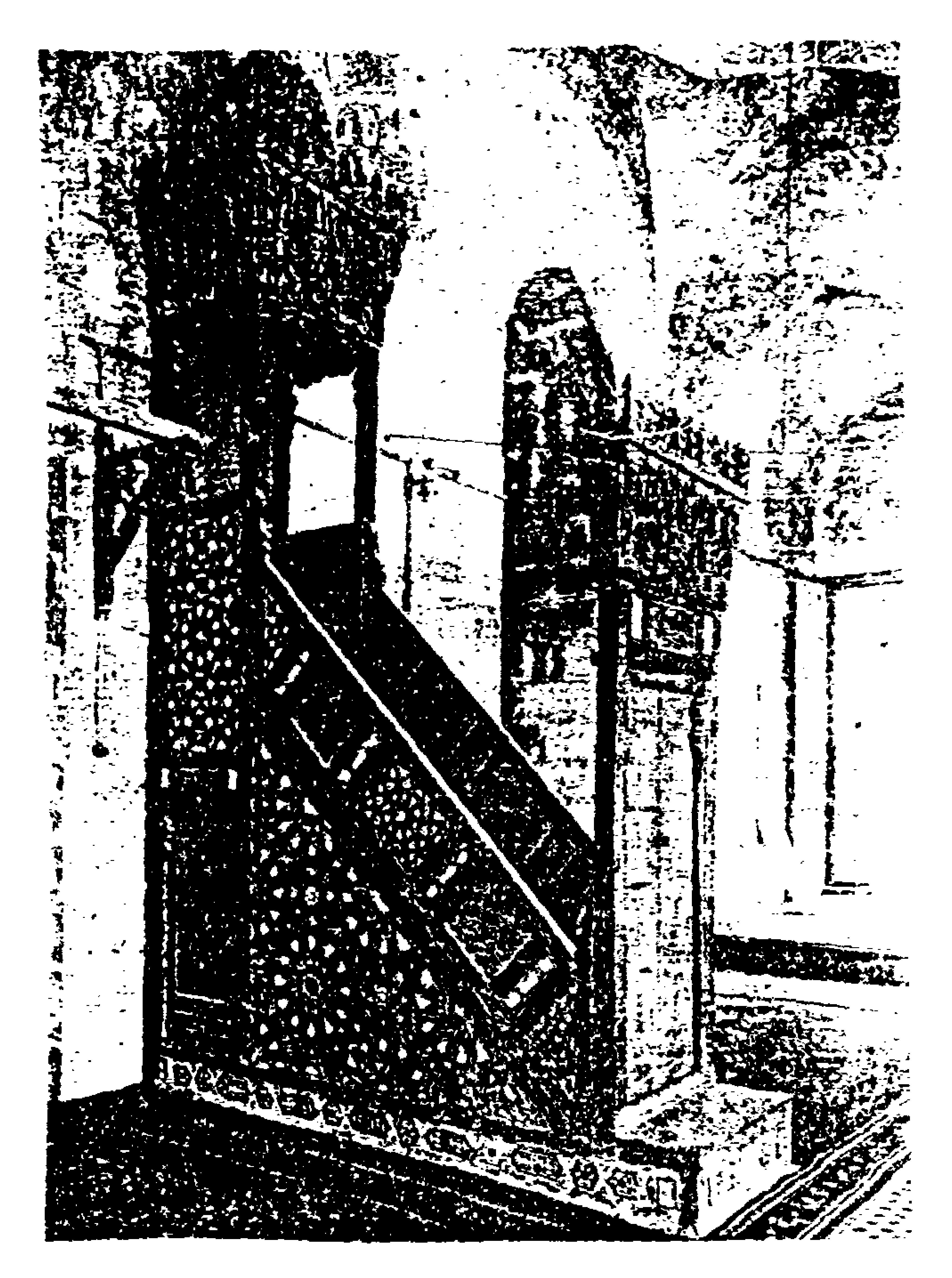
وكالة قايتباى بباب النصر الواجهـــــة

لوحـه ٨



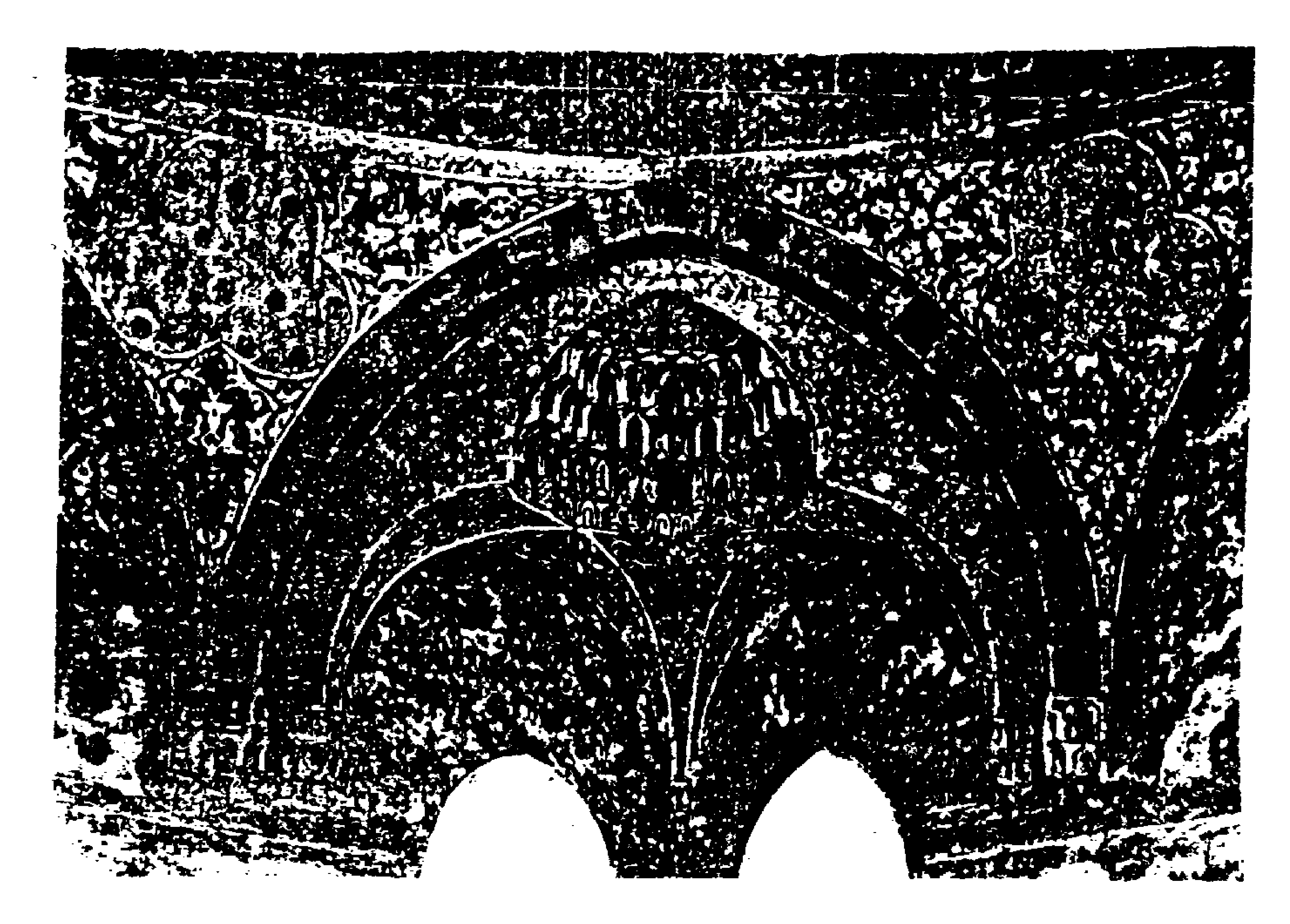
القبـة الفداوية بالعباسـية ـ منظر عام

لوحـه ٨



القبـة الفداويـة بالعباسية ـ المنبـر

لوحة ٨



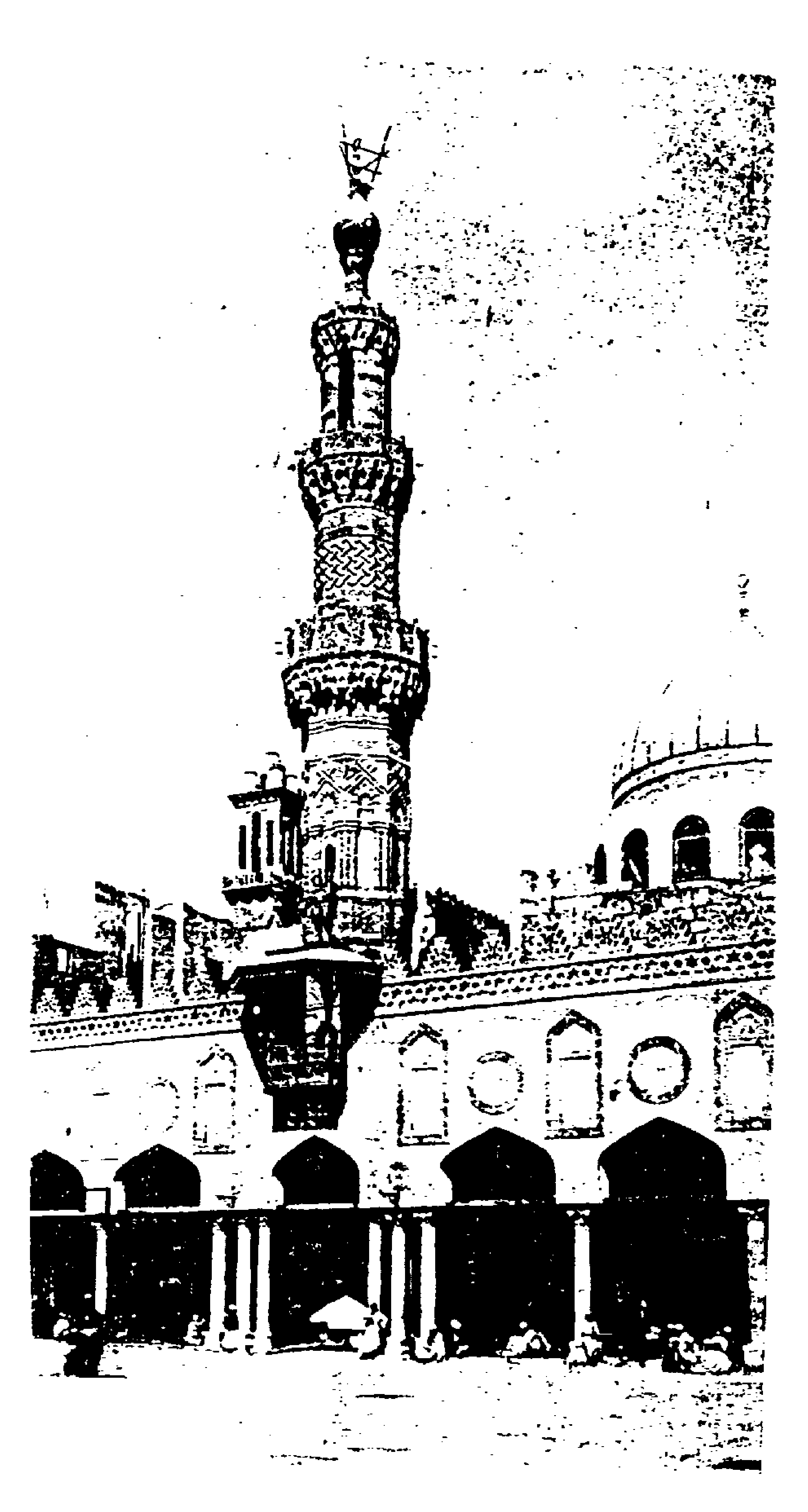
القبة الفداوية بالعباسية — مقرنصات القبة

لوحة ٩



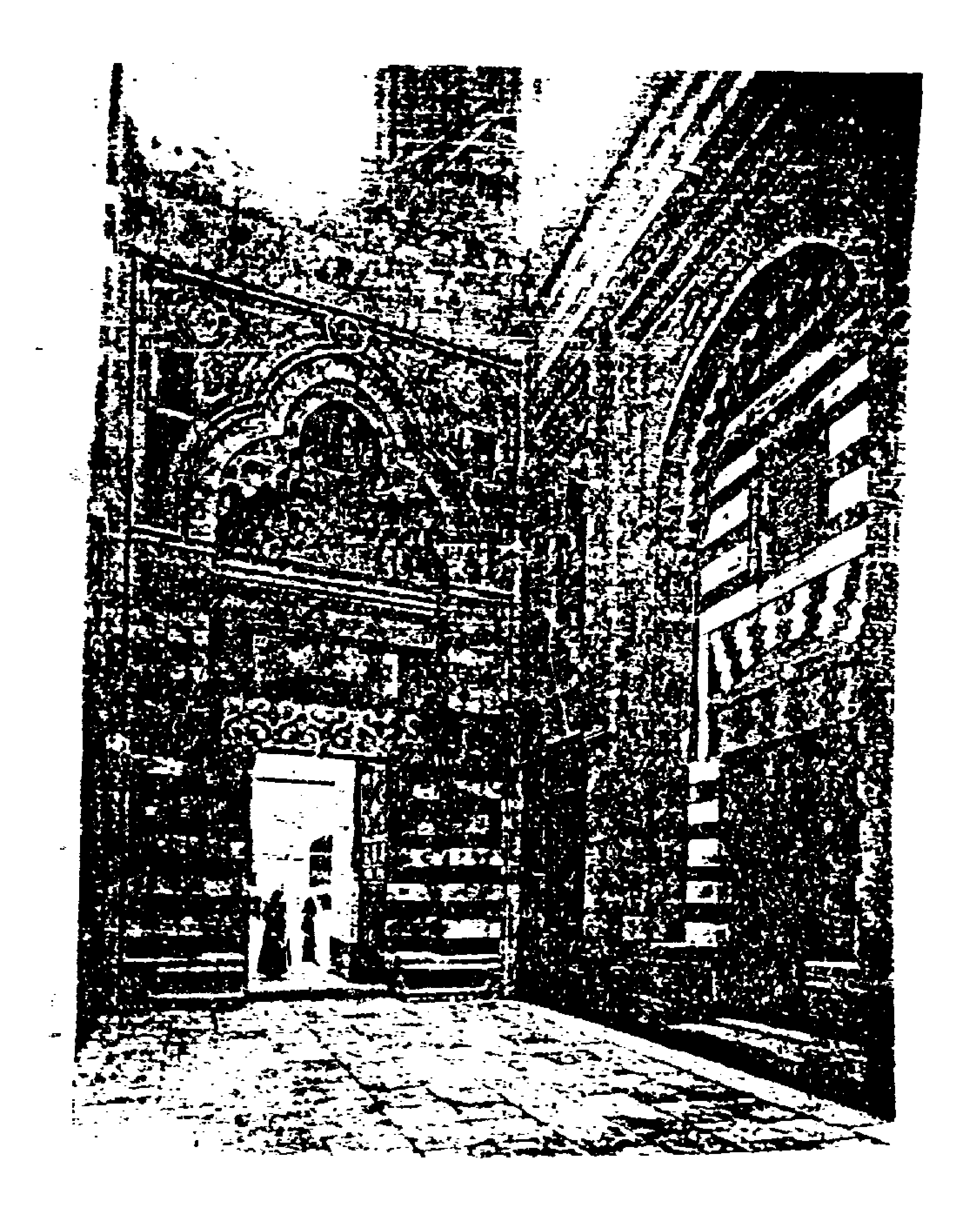
قبة يشبك بن مهدى بسراى القبة — منظر عام

لوحة ١٠



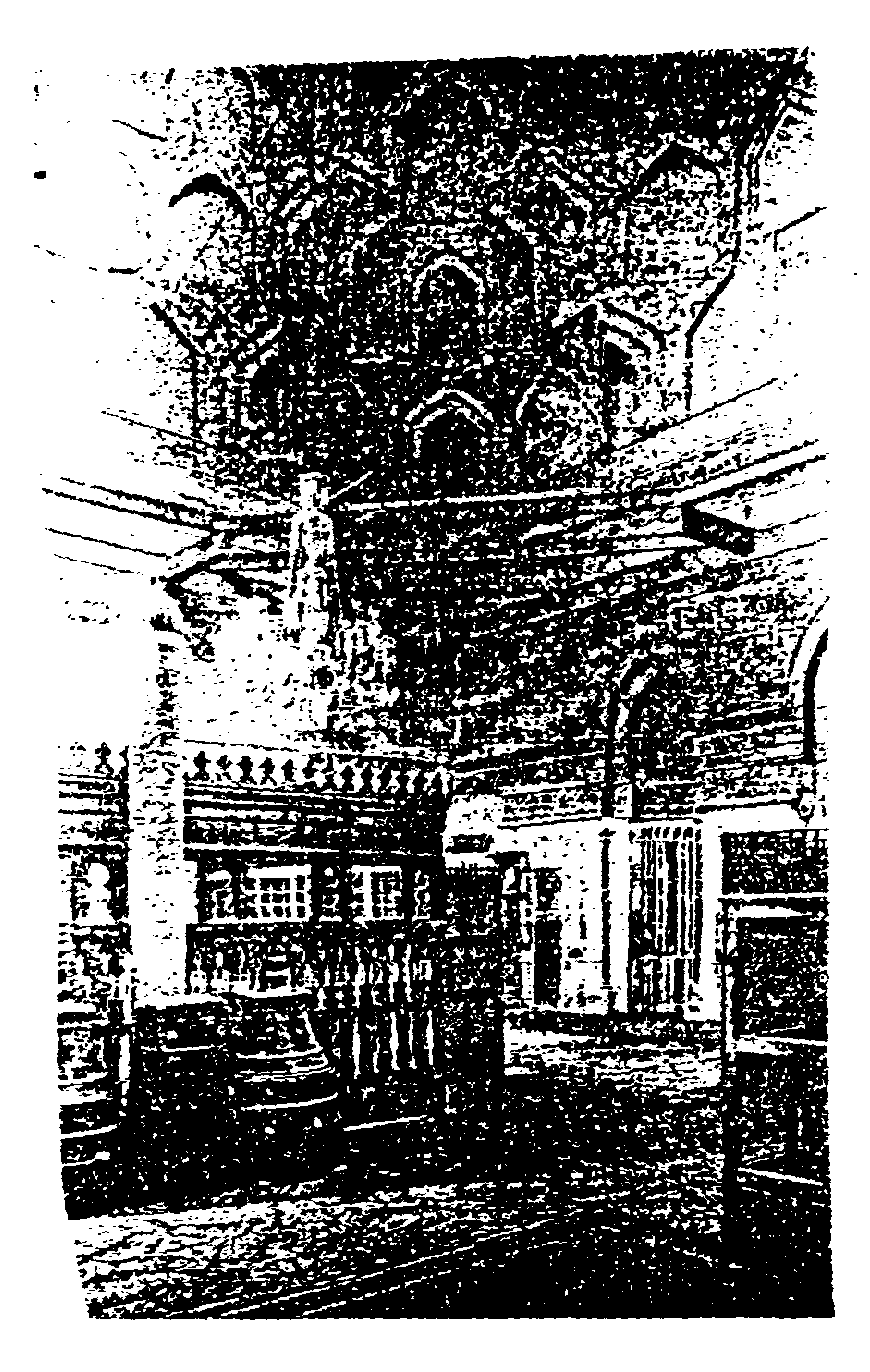
مئذنة قايتباى بجامع الازهر

لوحه ١٠



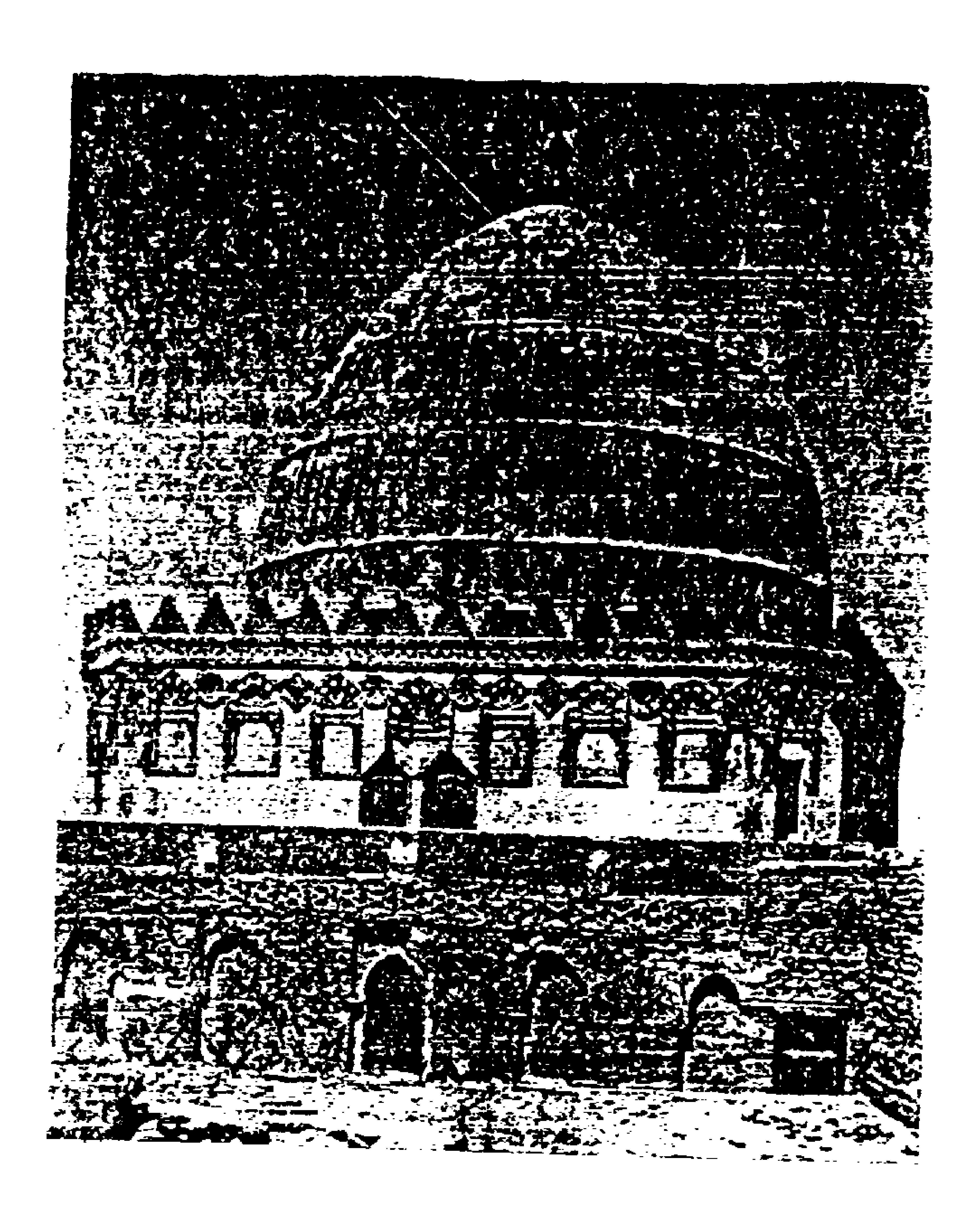
باب قايتباى بجامع الازهـــــر

لوحه ١١



قبة الامام الشافعى — من الداخل

لوحـه ١١



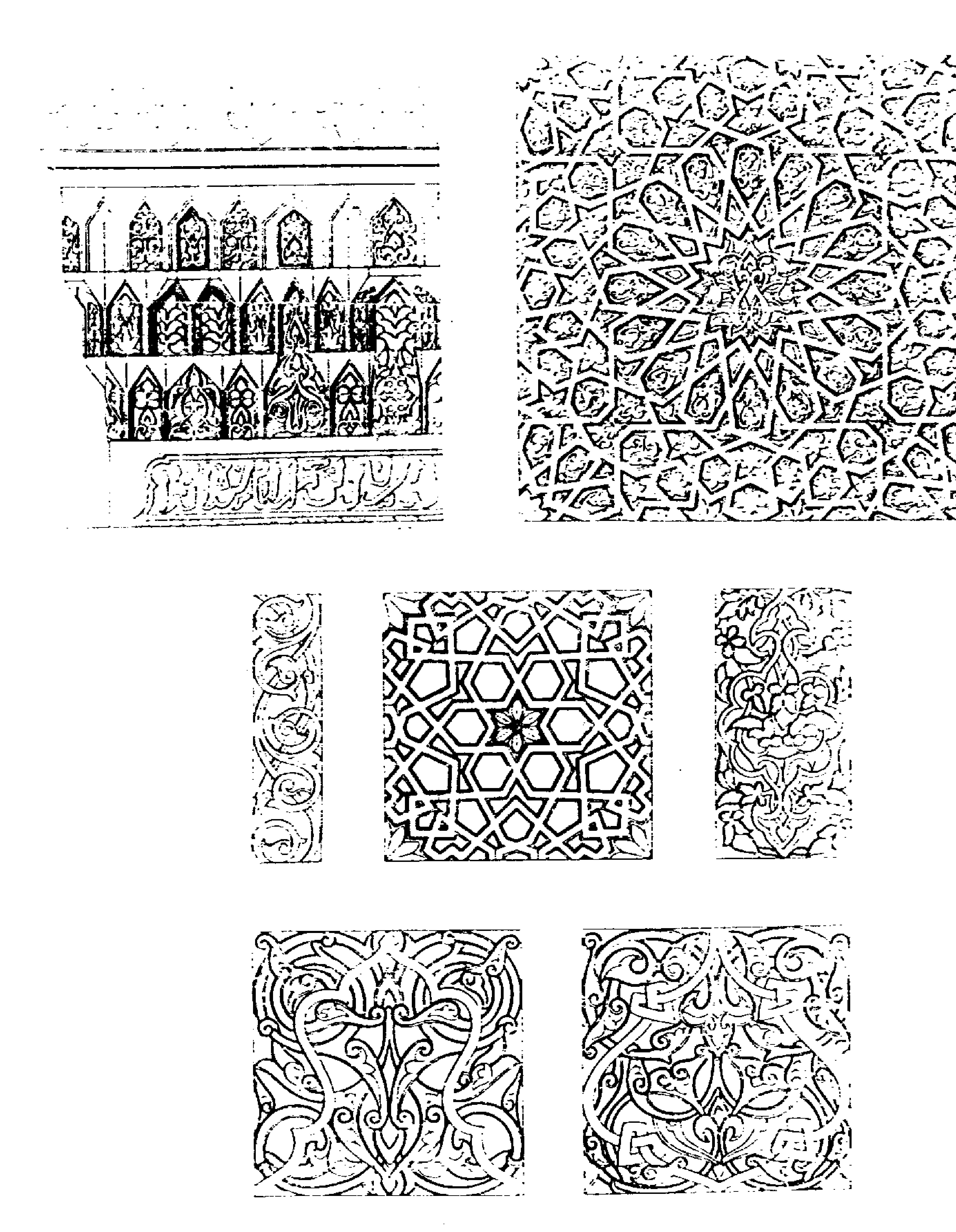
قبة الامام الشافعى ـ من الخـارج

لوحـه ١٢



خانقاه فرج بن برقوق ــ المنبر الحجرى لقايتبـاى

لوحـه ١٢



تفاصيل المنبر الحجرى لقايتباى بخنقاه فرج بن برقـوق

دار الحكيم للطباعة